الحجاج اللغوي

في قصص الحديث النبوي

تأليف: الدكتورة أمينة تجاني

دار المجدد
للنشر والتوزيع

الحجاج اللغوي

في قصص الحديث النبوي

تأليف:

الدكتورة أمينة تجاني

دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحجاج اللغوي في قصص الحديث النبوي
أمينة تجاني
200 صفحة
16 ×24 سم

محفوظة جميع الحقوق
© المكتبة الوطنية الجزائرية 2020.
ردمك: ISBN : 978-9947-38-357-5
الايداع القانوني: شهر سبتمبر 2020.

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والنقل
إلا بإذن خطي من المؤلف

دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع
02 نهج حفصي الطاهر (وراء الولاية)- سطيف/الجزائر
036.82.58.09 /0540.97.40.34 / 0550.96.31.07
على الفيس بوك: دار المجدد للنشر والتوزيع
dar.moudjadid@gmail.com

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾

(الأعراف ، 176)

إهداء

إلى من غرس فيّ حب العلم والمعرفة

شيخي: الدكتور سيدي محمد العيد التجاني

إلى والديّ الكريمين

وإلى زوجي العزيز: علي

مقدمـــــــــة

بسم الله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى .

في خضم التحوّلات الكبرى التي شهدها العصر في جميع فروع المعرفة احتلت الدّراسات اللغويّة مكانة مرموقة بين العلوم وخاصّة بعد تبنّيها المنهج العلمي في البحث والتّحليل بفضل جهود ديسوسير ومن أتى بعده من العلماء والباحثين.

ولا يزال الجديد يطالعنا في كل وقت وحين في هذا المجال بحثا عن أسرار اللغة المودعة فيها؛ إذ لم يعد ينظر إليها على أنّها وسيلة تواصل وإبلاغ، وجمال وإمتاع فحسب، بل وسيلة تأثير وتغيير في العالم، وهذا ما كشفت عنه التّداوليّة بشتّى نظريّاتها لاسيما نظريّة الحجاج التي غدت مركز اهتمام الباحثين في العالم الغربي والعربي على حدّ سواء، وإن كان الفرق شاسعا بينهما، إذ لا تزال في بداياتها في عالمنا العربي.

وتعود أهمّية الحجاج إلى كونه ينشد التّأثير والفعل في المتلقي؛ إمّا بدفعه إلى تبنّي رأي ما، أو القيام بسلوك معيّن والإحجام عن آخر، فهو حركيّة تواصليّة وفعّاليّة خطابيّة يمارسه الجميع، فالمتكلم يسعى إلى إقناع مخاطَبه واستمالته إلى جانبه مهما كان موضوع الحوار.

ولكن وإن كان الجميع يمارس الحجاج إلا أنّ قليلا من نجح نجاحا باهرا، وحقّق تغييرا منقطع النّظير يشهد له به القاصي والدّاني، وهذا ما جعلنا نتحرّى البحث عن خطابات حقّقت التّأثير والتّغيير، فلم نجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثيلا سواء أكان ذلك في العصر القديم أم الحديث، عند العرب أم

الغرب، لأنّه غيّر العالم في ظرف وجيز بخطابات جمعت بين الأحاديث والقصص والرّسائل والأدعية وغيرها... وهي إلى اليوم حاضرة فاعلة، قادرة على تحقيق التّغيير كما حقّقته في زمنه ﷺ.

وقد نال الحديث الشّريف حظوة عند الدّارسين بمختلف مشاربهم وتوجّهاتهم وتخصّصاتهم على عكس قصص الحديث النّبوي التي لم تحظ بالاهتمام مقارنة به أو بمثيلاتها من قصص القرآن الكريم، فلا نكاد نجد في السّاحة العلميّة إلا بعض الدّراسات القليلة، ومع قلّتها فهي منصبّة على الجانب العقدي الذي يركّز على شرحها واستخلاص العبر أو على الجانب البلاغي الذي يُعنى بالأساليب والتّراكيب.

أمّا من الجانب الحجاجي فلم نجد أيّة دراسة تناولت ذلك بالرّغم من توفّر قصص الحديث النّبوي على الخصوصيّة الجوهريّة للحجاج المتمثّلة في؛ الاستمالة والتّأثير، الإقناع والتّغيير. حيث قصد النّبي ﷺ من خلالها التّأثير في مخاطَبيه؛ إمّا بتبنّي قيمة أخلاقيّة، أو تغيير رأيهم حول موقف معيّن، أو دفعهم للقيام بسلوك حسن أو إبعادهم عن القيام بسلوك سيء.

من هذا المنطلق أردنا تسليط الضّوء على قصص الحديث النّبوي من منظور جديد عسى أن يكون لبنة تضاف إلى صرح الدّراسات اللغويّة والأدبيّة، دراسة جديدة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، بين التّراث الإسلامي والحداثة، وذلك بتوظيف النّظريّات اللسانيّة الحديثة في الكشف عن خبايا هذا التّراث وإمكاناته وطاقاته الإبداعيّة، فجاء العنوان موسوما بـ:

"**الحجاج اللغوي في قصص الحديث النبوي**"

وتكمن أهمّيّة هذه الدّراسة في كونها تسعى إلى الكشف عن سبل الحجاج وطرق الإقناع في قصص الحديث النّبوي، وتحديد الآليات التي وظّفها رسول الله ﷺ فيها من أجل جعل العقول تذعن لما يطرحه من أفكار وآراء وتستجيب لما يطلب منها من عمل. فهو جديد لم تتناوله الأقلام – فيما نعلم– بالبحث الشّامل ناهيك عن دراسته في أطروحة علميّة جامعيّة.

ولتحقيق هذا المسعى خضنا غمار البحث محاولين الإجابة عن الإشكاليّة الرّئيسة الآتية:

- ما هي أهمّ الآليّات الحجاجيّة اللغوية التي وظّفها النّبي ﷺ في قصصه حتى حقّق ما حقّقه من تغيير على الصّعيدين؛ الفكري والسّلوكي معا؟

وللإجابة أيضا عن بعض الإشكاليّات الفرعيّة التي دعت إليها الضّرورة المنهجيّة أهمّها:

- ما هو الحجاج اللغوي وما هي أهم تمظهراته؟
- أين تتجلّى حجاجيّة اللغة في القصّة النّبويّة؟ وأين تكمن قوّتها التّأثيريّة؟
- كيف يتمّ استثمار حجاجيّة القصّة النّبويّة في عصرنا الحالي لإقناع المتلقي واستمالته للمقاصد التي يرمي إليها النّبي ﷺ؟

أسباب عديدة دفعتنا للبحث في هذا الموضوع، يمكن اختصارها في نقاط:

- ✓ حبّنا لرسول الله ﷺ وسعينا الدّؤوب لخدمة بيانه الكريم تقرّبا إلى الله عزّ وجل من جهة، وطمعا في شفاعته ﷺ يوم القيامة من جهة أخرى.
- ✓ القدرة الحجاجيّة للنّبي ﷺ التي مكّنته من إقناع مخاطَبيه والتّأثير فيهم وتغييرهم.

- ✓ سمة الخلود التي يتميّز بها الخطاب النّبوي بجميع أشكاله، فالقصص موجّهة إلينا كما وجّهت لغيرنا وقادرة على الفعل فينا كما فعلت في غيرنا.
- ✓ الصّبغة الحجاجيّة لقصص الحديث النّبوي والقوّة التّأثيريّة التي تمتلكها والتي تؤهّلها لتحقيق التّغيير في أيّ زمان ومكان.
- ✓ تناثر قصص الحديث النّبوي هنا وهناك بين طيّات كتب الحديث الشّريف، وعدم وجود مصنّف خاصّ يجمعها ويسهّل للباحث عمله.
- ✓ عدم توافق تصنيف قصص الحديث النّبوي المتعارف عليه بين الباحثين مع مقاصد رسول الله ﷺ حسب وجهة نظرنا.
- ✓ قلّة الدّراسات التي تناولت القصّة النّبويّة مقارنة بمثيلتها القرآنيّة.
- ✓ إهمال الجانب الوظائفي للقصّة النّبويّة والتّركيز على الجانب العقدي الشّرعي أو الجانب البلاغي الجمالي.
- ✓ انتشار القصص والرّوايات الهدّامة الوافدة إلينا من العالم الغربي السّاعية إلى تدمير أبنائنا وشبابنا ومن ثمّة مجتمعاتنا الإسلاميّة، ما يحتّم علينا إيجاد البديل القادر على التّغيير الفعّال ومواجهة الخطر.
- ✓ إتاحة الفرصة لأدبائنا وكتّابنا أن ينهلوا من المنبع الصّافي–القصّة النبويّة– فيستثمروها ويضيفوها إلى تجاربهم وكتاباتهم ويعبّروا عنها بشتّى الطّرق الفنّيّة التي وصل إليها الفن البشري في مجال الأعمال الأدبيّة والقصصيّة بشكل خاص.
- ✓ محاولة تقديم رؤية حقيقيّة للمنظومة الإسلاميّة التي تمثّل ثقافة حياة كاملة لا تقتصر على المجال العقدي التّعبّدي فقط، من أجل تحريك الهمم

لتجسيدها في الحياة اليوميّة وذلك لتأسيس واقع جديد يتناسب مع مقاصد النّبي ﷺ ويساير روح العصر.

ولتحقيق الأهداف المنشودة من الدّراسة، أردناها أن تكون على أكمل صورة وأتمّ شكل، ولذلك قمنا بتصميم هيكل مؤطّر بمقدّمة ومدخل وفصلين وخاتمة وفق التّرتيب الآتي:

المدخل موسوم بـ"**القصة النبوية**" تعرّضنا فيه لمفهوم القصة عموما والقصة النبوية بشكل خاص، ثم ناقشنا تصنيفاتها الموجودة في الكتب والبحوث وطرحنا تصنيفا جديدا يتلاءم مع مقاصد رسول الله ﷺ ورسالته الخالدة.

الفصل الأوّل معنون بـ "**الحجاج اللغوي**" وهو فصل نظري حدّدنا فيه مفهوم الحجاج ورسمنا مساره ابتداء من شذراته الأولى عند العرب قديما إلى غاية ظهور نظريّاته العلميّة في العصر الحديث في العالم الغربي وانعكاسها على العالم العربي.

فقدّمنا في البداية الإطار المفاهيمي للحجاج بوضعه في مضماره الصّحيح من خلال تعريفه، وتحديد علاقته بالمصطلحات القريبة منه؛ البرهان والإقناع.

ثمّ تطرّقنا إلى الحجاج قديما في الفكر الإسلامي؛ فتتبعنا جذوره انطلاقا من الخطاب الدّيني بشقّيه؛ القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف، ثمّ الدّرس الدّيني وبالتحديد عند أبرز أعلامه في علم التّفسير وعلوم القرآن وأصول الفقه.

ثم انتقلنا إلى الحجاج حديثا في الدّرس الغربي؛ وبالتّحديد نظرّية الحجاج اللغوي لـ(ديكرو وأنسكومبر)، باعتبارها تناولت الحجاج من جانب لساني لغوي.

ثم الحجاج في الدّرس العربي الحديث فتناولنا أهم المجهودات التي قدّمها الباحثون في هذا المجال من دراسات تنظيريّة وتطبيقيّة.

وأما الفصل الثاني فموسوم بـ "**بنية الحجاج اللغوي في القصة النبوية**" حيث تناولنا فيه البنية اللغويّة للقصص النّبويّة باعتبارها لغة حجاجيّة تحمل وظيفة حجاجية بين طيّاتها، تتجلى في أقوالها وكلماتها وتراكيبها والتي ساهمت بشكل فعال في تحقيق الإقناع.

فتطرّقنا في البداية للسلم الحجاجي من حيث المفهوم والقوانين التي تتحكم فيه، ثمّ تعرّضنا للسلالم الحجاجية في القصة النبوية بمختلف أشكالها مع تقديم نماذج مختارة عن كل نوع.

ثمّ تناولنا الرّوابط الحجاجيّة بإبراز دورها الحجاجي في القصة النبوية من خلال عرض بعض الأمثلة. ثمّ العوامل الحجاجية التي ركزنا على وظيفتها الحجاجيّة التّوجيهيّة في القصة النبوية.

دون أن ننسى المقتضى المعجمي بأنواعه الثّلاث(الأسماء والصفات والأفعال) مع تبيان دوره الحجاجي في قصص الحديث النّبوي. والمقتضى التركيبي والذي اكتفينا فيه بالتّركيب الاستفهامي بنوعيه؛ الحقيقي والبلاغي.

ثمّ خاتمة البحث التي تضمّنت أهم النّتائج المتوصّل إليها، كما فتحت أفقا مستقبليّا للموضوع فيما لم نقدر على التوسّع فيه أو لم نتمكّن من تناوله.

إنّ البحث في القصة النّبويّة التي امتدّت عبر الزّمان والمكان، والحجاج الذي مدّ جذوره عبر جميع فروع المعرفة، جعلنا نأخذ بأكثر من منهج، وذلك حسب ما تقتضيه طبيعة البحث في كل مرّة.

فاتّبعنا المنهج التّاريخي لتقصّي نظريّات الحجاج بما حوته من مفاهيم وأطر ووضعها في مسارها التاريخي الصّحيح. والمنهج الوصفي التّحليلي للوقوف على الأشكال الخطابيّة للقصّة النّبويّة وتصنيفها حسب طبيعتها، ووصف المظاهر الحجاجيّة الكامنة فيها.

إنّ المراجع زاد الباحث، ولولاها لما وصل إلى ما يصبو إليه من نتائج، فهي التي تضيء دربه وتفتح ما استغلق عليه من فهم. ولهذا فقد استعنّا بالعديد من الكتب والمراجع التي تنوّعت بين الحديث الشريف واللسانيات.

فاشتغلنا على ما قدّمته الدّراسات اللسانيّة الحديثة من كتب ومراجع، من ذلك: "الحجاج مفهومه ومجالاته" لمجموعة من المؤلفين، "أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم" وهو عمل لفريق من البحث التونسيين، "النظرية الحجاجية" لمحمد طروس، "اللغة والحجاج" لأبي بكر العزاوي ...

دون أن ننسى الكتب التي اعتنت بالحديث النّبوي عامّة والقصص خاصّة، من ذلك: "القصص في الحديث النبوي" لمحمد حسن الزير، "صحيح القصص النبوي" للأشقر، "التصوير الفني في الحديث النبوي" لمحمد الصباغ، "الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية" لكمال عز الدين، "خصائص القصة الإسلامية" لمأمون فريز جرار وغيرها.

أما فيما يخصّ الصعوبات فلا يمكن لأي عمل أن يخلو منها وإن أُعدّت له كل الإمكانات. وممّا واجهنا في دراستنا:

- تشعّب النّظريّة الحجاجيّة وكثرة مصطلحاتها، واختلاف الرّؤى حولها.
- قلة المراجع عامّة نظرا لجدّة الموضوع وقلّة الأساتذة المختصّين.

– عدم وجود دراسات حول قصص الحديث النبوي من جانب تداولي ما جعلنا نحاول استخلاص عناصر الحجاج ووسائل الإقناع بناء على مجهوداتنا المتواضعة.

ومع ذلك نرجو أن نكون قد ألممنا بكل جوانب البحث ووفّينا الموضوع حقّه، كما نأمل أن تحقّق هذه الدّراسة الأهداف التي نرمي إليها، ونرجو أن يكون فيها بعض النفع والإفادة، ونعتذر عمّا ورد فيها من هفوات فالكمال لله وحده وحسبنا أنّنا قد اجتهدنا.

وأخيرا فإنّنا نتقدّم بالشّكر الجزيل لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد حتى يرى هذا البحث النّور ولو بكلمة تشجيع.

وفي الختام نسأل الله العفو عن كل زلة قلم، ونسأله أن يبارك مسعانا ويكلل أعمالنا بالنّجاح، وأن يلهمنا السّداد فكرا وقولا، والإخلاص عملا وتطبيقا، إنّه نعم المولى ونعم النّصير ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾

والحمد لله رب العالمين.

مدخل

القصة النبوية

أولا: مفهوم القصة

ثانيا: مفهوم القصة النبوية

ثالثا: أشكال القصة النبوية

تمهيد

إنّ دراسة الحديث النّبوي الشّريف يتطلب وعيا كبيرا، وفهما دقيقا لما يتميّز به من مكانة رفيعة، وفصاحة عالية، وانفتاح منقطع النّظير؛ فأمّا الأولى لكونه امتدادا وبيانا للقرآن الكريم ما جعل "النّوع الأدبي فيه متميّزا، يعمّق به النّبي ﷺ طائفة من المفاهيم والقيم التي تعدّ من المسائل الكبرى في النّماذج الكليّة من حياة الإنسان"[1].

وأمّا الثانية فـ"لخلوّه من الحشو، ومن الصّور الخطابيّة العاطفيّة التي تعتمد على العاطفة وحدها دون العقل... حيث يتجلى في أسلوب الحديث الشّريف العقل النّاطق بأبلغ وأوجز تعبير"[2].

وأمّا الثالثة فلكونه نصّا مفتوحا يحمل معنى متحركا يوافق حركة التاريخ وتحوّلات الفكر الإنساني في مختلف العصور يناسب المتغيّرات الزّمانيّة والمكانيّة، ما يدفع إلى "فهم السّنّة فهما صحيحا والتّأكد من مدلولات الألفاظ التي جاءت بها السّنّة، لأنّ الألفاظ تتغيّر دلالتها من عصر لآخر ومن بيئة لأخرى، وهذا أمر معروف لدى الدّارسين لتطوّر اللغات وألفاظها، وأثر الزّمان والمكان فيها..."[3].

---

[1] كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، السعودية، دط، دت، ص 459.

[2] مصطفى الزرقاء، مقارنة بين أسلوب الحديث وأسلوب القرآن، مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مطابع مؤسسة الرسالة، بيروت،ع7، السنة الثانية، 1995، ص 63.

[3] يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب، دط، دت، ص 170.

وهذه الخصائص التي تميّز بها الحديث النّبوي – الإيجاز ومخاطبة العقل من خلال إبلاغ الفكرة دون إطناب طلبا للفائدة والمنفعة، وبحثا عن الإقناع والتّأثير– تعدّ من أهم خصائص النّظريّة الحجاجيّة في شقها التّداولي.

وعليه فهو نص حجاجي غايته التأثير في المتلقي، وبما أنّ القصة النّبويّة جزء من هذا الخطاب النّبوي، فهي تحمل في طيّاتها وظيفة حجاجيّة، وهدفها إقناع الآخر وتغييره، وذلك من خلال مضامينها ومقاصدها المتنوّعة.

وهذا ما سنتناوله في هذا الجزء من الكتاب؛ مفهوم القصّة النّبويّة وأشكالها حتى تكون هناك صورة جامعة وواضحة تساعد على الفهم، ومن ثمّة التّحليل.

أولا: مفهوم القصّة

1- لغة:

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: "القاف والصاد: أصل صحيح يدل على تتبّع الشّيء من ذلك قولهم: قَصَّ الشيءَ يَقُصُّه وقِصَصًا بمعنى تتبّعه لأمر وغاية ينتهي إليها من ذلك التّتبّع. ومن ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبّعته"[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾[2] . أي تتبّعي أثره لتعلمي خبره.

وقد يأتي القصّ" بمعنى البيان، ومنه قوله سبحانه وتعالى في قصّة يوسف -عليه السّلام- مع إخوته: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴿٣﴾﴾[3] أي نبيّن لك أحسن البيان، والقاص من يأتي بالقصّة"[4].

هذا يعني أنّ "أصل القصص عند العرب تتبّع الأثر، فالعليم بالآثار يسير وراء من يريد معرفة خبره، ويتتبّع أثره حتى ينتهي إلى موضعه الذي حل فيه"[5].

وعليه فالقصّة في اللغة هي الأثر أو الخبر الذي يتّبعه المستمع والمتلقي ليوجّهه في حياته فيسير على هديها ومنوالها ليصل إلى هدفه المنشود.

أمّا في العصر الحديث فحسب المعجم الوسيط "القصّة: الحديث، الخبر، الأثر، الحكاية الطّويلة المستمدّة من الخيال أو الواقع أو منهما معا، والتي تبنى

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة (ق ص ص)، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، م5، ص11.

[2] سورة القصص، الآية 11.

[3] سورة يوسف، الآية 3 .

[4] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1978، ج2، ص311.

[5] عمر سليمان عبد الله الأشقر، صحيح القصص النبوي، دار النفائس، الأردن، ط7، 2007، ص 11.

على قواعد معيّنة من الفنّ الأدبي"[1]. وإن كانت تعني الأثر أيضا، إلا أنّ لها شروطا وقواعد لا تخرج عنها.

2 – اصطلاحا:

ليس بعيدا عن المعنى اللغوي نجد أنّ القصة في الاصطلاح هي "نسيج سردي، يختزل الخطاب إلى منطق أفعال ووظائف، ملغيا بذلك أزمنة ومظاهر وأنماط القصّة"[2].

وهي أيضا الحكاية النّثريّة الهادفة ذات الحبكة المترابطة، والمستوحاة من الخيال أو الواقع التي تعزّز الجوانب الإيجابية، وتخلو من الخرافات والمعاني السّلبيّة[3]. وهي أيضا "فن أدبي إنساني تتّخذ من النّثر أسلوبا لها، تدور حول أحداث معيّنة يقوم بها أشخاص في زمان ما، ومكان ما في بناء فنّي متكامل هادف نحو بناء الشّخصيّة المتكاملة"[4].

وتعدّ القصّة "من الأنواع الأدبيّة البارعة التي يمكن للقاص بها أن يقرّر المبادئ ويمكّن للأهداف"[5]، من خلال رسم خطوات الحياة الإنسانيّة من كل الجوانب ليتتبّع المتلقي أثرها حتى يصل إلى برّ الأمان. ولهذا فقد صاحبت الأمم من عهد البداوة إلى عهد ذروة الحضارة، فمكانتها ممتازة بين الفنون

---

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص 580.

[2] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص80.

[3] ينظر: وليد رفيق العياصرة، التربية الإسلامية واستراتيجياتها العملية، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2010، ص 571.

[4] محمد عبد الرؤوف، أدب الأطفال وبناء الشّخصيّة (منظور تربوي إسلامي)، دار العلم، دبي، ط2، 1997، ص 112.

[5] كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص 459.

الأدبيّة لمرونتها، واتّساعها للأغراض المختلفة، ولجمال أسلوبها، وخفتها على النّفوس، وقد بلغ بها القرآن الكريم ذروة السّمو والكمال[1].

وعليه فالقصّة هي حكاية وقعت في زمن ما أو لشخص ما، لا تخلو من عظة أو عبرة يتتبّعها المتلقي ليستفيد منها في حياته.

ثانيا: مفهوم القصة النبوية

إنّ مفهوم القصّة النّبويّة لا يخرج عن مفهوم القصّة كما عرفها العرب وكما جاءت في القرآن الكريم، وهو تتبّع الأحداث الماضية وإبراز جانب العبرة فيها، حيث تتناول أخبار الماضين وأحداث الأوّلين، سواء كانوا من الأنبياء أم من أقوامهم مع التّحديد الزّماني والمكاني[2].

ولكنّها تتفرّد عن غيرها، لكونها "كقصّة الأصل لا تجنح إلى الخيال الشّارد الجموح، ولا للتعمّق المفلسف الغامض، ولا للسّطحيّة الفارغة الجوفاء المغطاة بقشرة خالية من بديع العبارة، وليست هي القصّة التي وضع الغرب لها عشرات القواعد والشّروط، ولكن هي القصّة التي تقوم على سلامة فطرة القاص... فلا تعالج أنماطا من عالم المجهول، وإن جنحت إلى عالم غير منظور بَنَتْه على تباشير الحاضر الشّاهد به، فربطت بينهما بسببيّة تمنع الطفرة، وهي في ذلك كله وفي غيره الوسيلة المشتهاة للنّفس الطلقة، والأسلوب الرّائع المخدّر للوجدان تجوس معه حكمة الطبيب الرّؤوف في القلب، وتقطع وتصل ليصحو في حلم ورحلة على حقيقة قلب وصحّة واعتقاد"[3] .

---

[1] ينظر: الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 12.

[2] ينظر: مأمون فريز جرار، خصائص القصة الإسلامية، دار المنارة للنشر، جدة، السعودية، ط1، 1988، ص 113.

[3] كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 459، 460.

إذًا القصّة النّبويّة هي القصة التي يحكيها النبي ﷺ عن نفسه أو عن الأمم السابقة أو المواقف الغيبية التي تندرج تحت باب القصص النبوي، والتي تهدف إلى بناء القيم وترسيخ مبادئ الإسلام في النفوس وصياغة الشخصية المسلمة على نحو متميز وفق المحددات القرآنية، من خلال "مجموعة أحداث مرتّبة ترتيبا سببيّا ، تدور حول مواضيع إنسانيّة شتّى، جوهرها تصوير الحياة بما فيها من نماذج بشريّة، وتحليل أحاسيسها ومعرفة نفسيّاتها وتشريحها"[1].

إنّ القصّة النّبويّة ترسم منهجا واضحا، وطريقا سويّا ناجحا لصناعة الإنسان وبنائه وفق المبادئ الإلهيّة للمنهج الرّبّاني المسطّر في القرآن الكريم؛ وذلك للوصول إلى الأهداف الكبرى التي خلق من أجلها الإنسان: الخلافة، العبادة، العمارة. ولهذا لم يذكر النّبي ﷺ شخصيّات نمطيّة اصطناعيّة ذات وجهة محدّدة، بل أبطال قصصه تنتمي إلى الواقع الوجودي بما فيه من خير وشر، وحب وكره، وطمع وحرص... بل في أغلب الأحيان تضع المتلقي أمام نقيضين ليقارن ويختار الأفضل ليتّبعه كنموذج بشري ناجح يسير على خطاه ويتتبّع أثره حتى ينجح في حياته مثله، ويقود مجتمعه لأنّ النّجاح أوّل معيار للقيادة.

وعليه فالقصّة النّبويّة ترسم خطوات الأمّة القائدة، والمؤمن النّاجح، والمجتمع المثالي المتكافل اجتماعيّا، والمتعاون اقتصاديّا والمتطوّر علميّا. أي الأمّة التي قال فيها تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]. وبهذا فهي تختلف عن القصّة الفنّيّة من حيث الخصائص والأشكال.

---

[1] مأمون فريز جرار، خصائص القصّة الإسلامية، ص 113.

[2] سورة آل عمران ، الآية 110 .

ثالثا: أشكال القصّة النبوية

تعدّدت أشكال القصّة وتنوّعت بحسب مضامينها ومقاصدها، وهي وإن كانت تشترك مع الحديث النّبوي في بعض الجوانب، إلا أنّها في عمومها مستقلة عنه؛ لكون مجالها أوسع وأكبر، فلا تنحصر في عصر من العصور، بل تمتد مساراتها ومسافاتها وتتسع مداراتها ومدركاتها فتسع كل ما رواه النبي ﷺ من قصص عن الأمم الأخرى، والأحداث الغيبية والأخبار المستقبليّة التي تأخذ في عمومها طابع الأسلوب القصصي. وربّما هذا السّبب الذي جعل العلماء والباحثون يصنّفون القصص إلى:

1- قصص وقعت للرّسول ﷺ: كقصّة الإسراء والمعراج، وقصّة شق الصّدر..

2- قصص تاريخيّة: كقصّة الغلام وأصحاب الأخدود، وقصص الأنبياء مع أقوامهم...

3- قصص غيبيّة: كقصّة المسؤوليّة والجزاء التي تتعلق بالجنّة والنّار، وقصص يوم القيامة.

4- قصص تمثيليّة: كقصّة أصحاب السّفينة...

5- قصص المستقبل: كقصّة يأجوج ومأجوج والمسيح الدّجّال...

ولكن هذا التّصنيف لا يتناسب مع مقاصد رسول الله ﷺ وغاياته من القصص، فهو ليس مؤرّخا يتحدث عن أخبار الماضين، ويسجّل حياتهم وشؤونها كما يفعل المؤرخون. كما أنّه لا يؤرّخ لنفسه وأمّته من خلال ذكر القصص التي حدثت له. وليس راويا أو قاصّا يروي القصص لمجرّد الإمتاع والتّسلية وقضاء الوقت في الاستماع إليه في زمنه ﷺ، وقراءتها في أزمان أخرى؛ إذ ليس في ذلك هدف أو غاية يستلهمها القارئ أو المستمع ليهتدي بها

إلى سبل السلام وتوصله إلى بر الأمان. وهذا لا يمكن لأنّه ﷺ أعلى شأنا من ذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1].

فهو يسعى جاهدا من خلال القصص إلى تحقيق أهداف سامية؛ تتمثّل في تغيير التركيبة العقليّة والنّفسيّة للمتلقين وما يتبعها من تغيّر عملي سلوكي.

وعليه فقصصه جاءت لتعالج الحياة الإنسانيّة من كل جوانبها؛ لأنّها تتشابه رغم اختلاف الزّمان والمكان "فوق ظهر هذه الأرض في استقامتها وانحرافها، وحتى النّماذج البشريّة المنحرف منها والمستقيم نماذج مكرورة، ولذا فإنّ القرآن الكريم والحديث النّبوي يحدّثنا كل منهما أحاديث نجد فيها أنفسنا، أو نجد فيها رجالا من حولنا، فكأنّما النّصوص وهي تروي قصّة فلان تحدّثنا عمّا نعانيه من البلاء، أو ما ننعم به من الرّخاء، أو كأنّما هي تحدّثنا عن الحاكم العادل الذي يعيش بيننا، أو الجبّار الطاغية الذي يصول ويجول مفسدا في الأرض، وقد تحدّثنا عن نماذج إنسانيّة عاديّة، فقد يكون المتحدّث عنه مزارعا صالحا أو تاجرا أمينا صادقا، أو إنسانا رحيما، وقد نرى هذا النّموذج في فلاح نعرفه أو تاجر نتعامل معه أو رجل أصابتنا نفحات من رحمته"[2].

وهذا يعني أنّ هذه القصص تذكر نماذج مختلفة (تاجر، حاكم، عابد، بغي، قاتل ...) لتعالج موضوعات تربويّة واقتصاديّة واجتماعيّة وتعليميّة واقتصاديّة؛ لذا يجب تصنيف القصّة النّبويّة حسب أبعادها، وذلك لاستكشاف المقاصد الحقيقيّة لهذه القصص وتفعيلها في حياتنا اليوميّة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهذا التّصنيف هو الأنسب والأصلح لأنّه يتماشى مع الحجاج الذي

[1] سورة النجم، الآيتان 03، 04.

[2] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 15.

يتمظهر في كل الخطابات (السياسيّة، الاجتماعيّة، الأدبيّة، القانونيّة...) بهدف التّأثير والإقناع ومن ثَمّة التّغيير، وهو ما حققه رسول الله ﷺ في الواقع الوجودي؛ إذ غيّر أمّة من النّقيض إلى النّقيض في فترة وجيزة.

وعليه يمكن تصنيف القصص إلى:

1- القصص ذات البعد التربوي:

وهي التي تُعنى بتربية المسلم تربية روحيّة، وتهذيب النّفس البشريّة وتصفيتها من كل شهواتها ورعوناتها للوصول بها إلى أعلى مقامات الدّين، ألا وهو مقام الإحسان. ومن أمثلة ذلك: قصّة «التّائب»، قصّة «قاتل المائة»، قصة «صوت من السّماء» ...

ويمكن إدراج قصّة للتّوضيح أكثر؛ قصّة «صوت من السّماء» التي وقعت للرّسول ﷺ، والتي يقول فيها حاكيا لعائشة – رضي الله عنها-: "**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني على ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثّعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النّبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا**"[1].

[1] البخاري، الصحيح، راجعه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط5، 2012، ج2، كتاب بدء الخلق، ص 313 (رقم الحديث 3231).

من خلال هذه القصّة نلمس مقصد رسول الله ﷺ الذي يتجلى في تربية المسلم على العفو والتّسامح والإحسان، فبرغم ظلم قومه له إلا أنّه لم يكافئهم بالمثل، بل دعا الله أن يخرج من أصلابهم من يؤمن به، على عكس نوح عليه السلام الذي دعا على قومه بالهلاك بقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[1].

وقصّة «قاتل المائة» التي يدعو فيها إلى التّوبة مهما بلغت الذّنوب مداها، لأنّ الله غفور رحيم لقوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[2].

وقصّة الرّجل الذي طلب من بنيه أن يحرقوه إذا مات، ثم يطحنوه، ثم يذروا رماده في يوم عاصف، وذلك كله خوفا من الله عز وجل ليغرس في نفوسنا الخوف من عقاب الله وقهره وعذابه. وهذا ما يدفعنا إلى ضرورة جمع كل القصص التّربويّة واستخلاص مقاصدها، ثم تنظيمها حسب الأولويّة في برنامج تدريبي مكثف، نستثمره في تربية النّشء حتى يتمّ تكوين أمّة إسلاميّة مثاليّة تسمو بأخلاقها عن كل دني، ولعل هذا ما ذهب إليه الصّوفيّة في تربية النّفس وتهذيبها من أجل الوصول بها إلى أسمى مراتب الكمال الإنساني.

2- القصص ذات البعد الاجتماعي:

وهي التي تصوّر الحياة الاجتماعيّة بكل أبعادها السّيّئة والحسنة، محاولة تسييرها وتحويرها نحو الأفضل دائما من أجل تكوين مجتمع إسلامي مثالي قادر على قيادة الأمم. على نحو جيل الصّحابة الذي تخرّج على يد المصطفى

[1] سورة نوح، الآيتان 26، 27.

[2] سورة الزمر، الآية 53.

ﷺ فقاد الأمم ردحا من الزّمن. ومن أمثلة ذلك: قصّة «الغلام أو أصحاب الأخدود»، قصّة «جريج»، قصّة «الكفل»، قصّة «أصحاب الغار» .... وسندرج قصّة «جريج» لتوضيح الجانب الاجتماعي فيها.

قصّة «جريج» والتي يقول فيها رسول الله ﷺ: "**كان في بني إسرائيل رجل عابد يقال له جريج، فابتنى صومعة وتعبّد فيها، قال: فذكر بنو إسرائيل يوما عبادة جريج، فقالت بغيّ منهم: لئن شئتم لأصيبنّه ؟! فقالوا: قد شئنا. فأتته فتعرّضت له، فلم يلتفت إليها، فأمكنت نفسها من راع كان يأوي غنمه إلى أصل صومعة جريج، فحملت، فولدت غلاما، فقالوا: ممّن؟ قالت: من جريج. فأتوه فاستنزلوه فشتموه وضربوه وهدّموا صومعته، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: إنّك زنيت بهذه البغي، فولدت غلاما. قال: وأين هو؟ قالوا: ها هو ذا. قال: فقام فصلى ودعا، ثم انصرف إلى الغلام فطعنه بإصبعه وقال: بالله يا غلام، من أبوك؟ قال: الرّاعي**"[1].

من خلال هذه القصّة نستشفّ ظلم النّاس لجريج؛ باتّهامهم له بالزّنا ومن ثَمّة ضربه وشتمه وتحطيم صومعته، رغم كونه إنسانا عابدا وعلمهم بذلك، إلا أنّه حاول حل المشكل بالحوار والاستعانة بالله تعالى بالدّعاء، ولم يفكر بالعنف أو الرّد بالمثل، ولذلك أنطق الله الغلام وبرّأ جريج من التّهمة المنسوبة إليه، لالتجائه إليه لقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[2].

---

[1] مسلم، الصحيح، دار الفكر، بيروت، ط1، 1993، ج2، كتاب البر والصلة والآداب، ص 511 (رقم الحديث 2550).

[2] سورة الحج، الآية 38.

وهنا تظهر في هذه القصّة المشاكل التي تتخبّط فيها المجتمعات، والتي من أصعبها اتّهام الإنسان في عرضه، وتبيّن طريقة حلها باستخدام الحوار والاستعانة بالله تعالى بالتّضرّع له أن يخلصه ممّا ابتلي به، والابتعاد عن الدّخول في صراعات تؤدّي بطبيعة الحال إلى التشتّت والتّفرق، وبالتالي إلى الضّعف والتّقهقر؛ لأنّ قوّة الدّول وتقدّمها تبدأ بتماسك مجتمعاتها.

كذلك قصّة «الكفل» مع المرأة المحتاجة ومساومته لها على نفسها، وقصّة «أصحاب الغار» التي يذكر فيها النّبي ﷺ أنّ أحد الثّلاثة راود ابنة عمّه عن نفسها بسبب احتياجها للمال. فهذه القصص تكشف عن مشاكل اجتماعيّة واقعة، فاستغلال المرأة الضّعيفة والذّليلة من طرف أصحاب النّفوذ المادّي والسّلطوي حقيقة لا مناص منها، ولكن القصّة لا تقف عند إظهار المشكل، بل تعرض للعلاج الفعّال الذي يحمي المرأة في عفّتها، والمجتمع بتخليصه من انتشار الفاحشة والرّذيلة، والرّجل بحفظ دينه وإيمانه.

والحل هو استشعار وجود الله ومراقبته للعبد؛ ويتجلى ذلك في القصّة الأولى في ارتعاد المرأة خوفا من الله، الذي دفع بالكفل إلى التّوبة، وأمّا في الثانية، قول بنت العم: (اتّق الله) كلمة جعلته يتركها لشأنها.

فالقصّة الاجتماعيّة تطرح مشاكل عديدة يعاني منها كل مجتمع، وتعقب كل مشكلة بالحل المناسب لها، وهذا ما يدعو إلى العمل على جمع هاته الحلول من أجل تطبيقها واستثمارها في معالجة الآفات الاجتماعيّة اليوم، والتي لا نجد لها إلا كلام الجمعيّات والمؤسّسات التي تدّعي المحافظة على حقوق الإنسان.

3- القصص ذات البعد الاقتصادي:

وهي التي تعرض النّظام المالي الإسلامي الذي جاء به القرآن الكريم، القادر على تسيير اقتصاد الدّول والمجتمعات على نحو أفضل من النّظم الاقتصاديّة الوضعيّة التي سبّبت أزمات ماليّة لا نهاية لها، والتي لا تزال تعاني من فشلها البشريّة إلى اليوم. نظام مالي إسلامي يضمن الحياة الرّغيدة لكل النّاس من خلال الزّكاة، الصّدقات، تحريم الرّبا والاحتكار والغش والتّدليس في الأثمان وما إلى ذلك. ومن أمثلة ذلك: قصّة «الأجير» و«المقترض» و«صوت سحابة» و«المتصدّق» ...

من ذلك قصّة «صوت سحابة» و«المتصدّق» كمثال على هذا النّوع من القصص؛ فأمّا الأولى، فيقول رسول الله ﷺ: "**بينما رجل بفلاة من الأرض إذ سمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحّى ذلك السّحاب، فأفرغ ماءه في حرّة، فانتهى إلى الحرّة فإذا هو في أذناب شراج، وإذا شرجة من تلك الشّراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتبع الماء، فإذا برجل في حديقته يحوّل الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، بالاسم الذي سمع في السّحابة، فقال له: يا عبد الله لِم تسألني عن اسمي؟ قال: سمعت صوتا في السّحاب الذي هذا هو ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أمّا إذا قلت هذا؛ فإنّي أنظر إلى ما خرج منها فأتصدّق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأردّ فيها ثلثه**"[1].

[1] مسلم ، الصحيح، ج2 ، كتاب الزهد والرقائق، ص704 (رقم الحديث 2974).

فهذه القصّة تكشف عن خطّة ناجعة لاستثمار المال وزيادته وتنميته، وذلك بتقسيمه إلى ثلاث: فثلث للإنفاق على الأهل والولد، وثلث لتوسيع المشروع الاقتصادي، وثلث للتّصدّق على الفقراء والمحتاجين.

وهذه الخطّة الاقتصاديّة تضمن نجاح المستثمر وزيادة ماله، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾[1]. ولقوله ﷺ: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا. ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا"[2]. وتطهيره أيضا من المال الحرام، لقوله تعالى:﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3].

كما تساهم في تطوير وازدهار المشروع ما يؤدّي إلى توفير مناصب عمل، بسبب الاحتياج لليد العاملة، إضافة إلى ذلك إعالة المحتاجين والقضاء على مظاهر الفقر من تسوّل وغيرها.

وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه الخطط التي تساعد أرباب الأعمال على النّجاح في الميدان والمساهمة في تطوير المجتمع وتحسين اقتصاد الدّولة .

وأمّا الثّانية، فيقول رسول الله ﷺ: "**قال رجل لأتصدّقنّ بصدقة فخرج بصدقة فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدّثون تُصُدّق على سارق! فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدّقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدّثون تُصُدّق الليلة على زانية. فقال: اللهم لك الحمد على زانية! لأتصدّقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غنيّ، فأصبحوا يتحدّثون تُصُدّق على**

---

[1] سورة سبأ، الآية 39.

[2] البخاري، الصحيح، ج1، ص 339.

[3] سورة التوبة، الآية 103.

غني. فقال: اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غنيّ. فأتي فقيل له: أمّا صدقتك على السّارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأمّا الزّانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأمّا الغنيّ فلعله يعتبر فينفق ممّا أعطاه الله"[1].

إذا كانت القصّة الأولى تبرز جانبا معيّنا للصّدقة والمتمثل في مساعدة الفقراء وتحسين معيشتهم، فإنّ هذه القصّة تظهر الأسرار الخفيّة للصّدقة؛ والتي تكمن في القضاء على الآفات الاجتماعيّة كالسّرقة والزّنا، لأنّ الدافع إليهما هو طلب المال، والآفات النفسيّة أيضا كالبخل والشّح التي باعثها الحرص على المال.

وعليه فلا نحتاج إلى سجون لإعادة تربية السّارقين والزّناة، ولكن نحتاج إلى نظام اقتصادي إسلامي يعفّ النّاس عن كل ذلك، ويريح الدّولة من أعباء كثيرة تثقل كاهلها.

4- القصص ذات البعد التّعليمي:

وهي التي تحوي علوما شتى تفيد العبد في دينه ودنياه، والعلوم عند الصّوفيّة مدارها على أربعة أشياء: الله والنّفس والدّنيا والشّيطان. وهذه العلوم هي التي تؤدّي إلى المعرفة؛ لأنّ العلم بالله وصفاته وأفعاله يحدّد للمسلم أيُّ طريق يسلك: الخير أم الشّر. والعلم بالدّنيا تعرّف المسلم قوانين الكون وسنن الحياة، ومنها يكتشف أسرار النّجاح في الدّنيا والآخرة. والعلم بالشّيطان يمكن المسلم من معرفة مزالقه التي يريد أن يغوي بها ابن آدم حتى يقع في مستنقع الرّذيلة والخطيئة، فيسقط من عين الله ويحل به غضبه وعقابه الدّنيوي أو الأخروي. ومن أمثلة ذلك: قصّة الدّجال، ويأجوج ومأجوج ...

[1] مسلم، الصحيح، ج1، كتاب الزكاة، ص 452 (رقم الحديث 1022).

وكمثال على القصّة التّعليميّة أدرج قصّة «السّفينة»، حيث يقول رسول الله ﷺ: "**مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبّون على الذين في أعلاها فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذونا ، فقال الذين في أسفلها: فإنّا ننقبها من أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعا، وإن تركوهم غرقوا جميعا**"[1].

في هذه القصّة يعلم الرّسول ﷺ المسلم الفعّاليّة في المجتمع وطريقة التّصرّف إزاء موقف ضار بالأمّة، لأنّ الحياة الإنسانيّة هي سفينة الحياة التي يتقاسمها نوعان من البشر في كل زمن: المصلحون والمفسدون. فلا يخلو زمن من هذين النّوعين، ولكن هذه القصّة تركز على المصلح وتعلمه الإحساس بالمسؤوليّة والمبادرة بالإصلاح في المجتمع وتجنّب اللامبالاة، وعدم ترك المجال فسيحا للمفسد بحجّة فساد الزّمن، لأنّ ذلك يؤدّي إلى الهلاك وغرق السّفينة، وحينها لن ينجو أحد.

فعلى العاقل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بدءا بحيّه ومنطقته وبلدته لأنّنا كلنا في سفينة واحدة وإن غرقت غرقنا جميعا.

5 – القصص ذات البعد السّياسي:

وهي التي توجّه الحياة السّياسيّة، وتبيّن العلاقة بين أصحاب الحكم والشّعب، وتبيّن طبيعة السّلطة؛ البعيدة عن التسلط والظلم والقهر، وعن عدم المبالاة والإعراض عن الخلق أيضا، فهي علاقة خدمة، لأنّ رئيس القوم

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب الشركة، ص 116 (رقم الحديث 2493).

خادمهم، والسّلطان ظل الله في الأرض والنّائب عنه في تسيير شؤون خلقه الظاهرة. ومن أمثلة ذلك: قصّة «الغلام» ، قصّة «سارة والملك»...

وكمثال على ذلك قصّة «الغلام»، حيث يقول رسول الله ﷺ: "**كان مَلك فيمَن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلمَّا كبِر، قال للملك: إني قد كَبِرتُ، فابْعَث إليّ غلامًا أُعَلِّمه السِّحر، فبَعث إليه غلامًا يُعلِّمه، فكان في طريقه إذا سلَك راهبٌ، فقعَد إليه وسَمِع كلامه، فأعْجَبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب، وقعَد إليه، فإذا أتى الساحر ضرَبه، فشكى ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خَشِيتَ الساحر، فقل: حبَسَني أهلي، وإذا خَشِيت أهلك، فقل: حَبَسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابَّة عظيمة قد حَبَست الناس، فقال: اليوم أعلم: الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخَذ حجرًا، فقال :اللهم إن كان أمرُ الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر، فاقْتُل هذه الدابَّةَ؛ حتى يَمضي الناس، فرماها فقَتَلها، ومضى الناس ...**"[1].

فهذه القصّة تحكي ظلم الحاكم وادّعائه الرّبوبيّة، وإجبار شعبه على عبادته، هذا من جهة ومن جهة أخرى تروي طريقة انتشار الإيمان بين النّاس، وذلك من خلال الغلام الذي يمثل القائد القادر على تغيير الأمور بشكل سلمي؛ فهو لم يكن نبي ولا مرسل، بل غلاما عاديا ولكنّه استقى الإيمان من منبع صاف، فتغلغل في قلبه ومن ثَمّة دفعه إلى العمل بصدق وإخلاص لله تعالى.

فتحمّل الغلام المسؤوليّة وبادر بالعمل دون طلب منه، وذلك حين قتل الدّابّة، ثمّ قام بمساعدة المرضى والمحتاجين بالدّعاء والتّضرّع إلى الله حتى

[1] مسلم، الصحيح، ج2، كتاب الزهد والرقائق، ص 711 (رقم الحديث 3005).

يعلمهم بطريق غير مباشر بأنّ له إلها غير الملك، وكان فعّالا وإيجابيّا يقدّم خدماته لكل النّاس دون تمييز بينهم، فعالج حتى جليس الملك. ولمّا كُشف أمره وحدث الصّراع بينه وبين الملك لم يدخل النّاس كطرف ثالث للدّفاع عنه، بل واجهه لوحده، حتى تغلب عليه أمام أعين النّاس الذين آمنوا بفضله.

تستعرض القصة الطرق السّلميّة للتغيير؛ سواء أكان ذلك في الدّين والمعتقد أم في الحكم والسّلطة. فليس بالضّرورة قتل الأبرياء من أجل منازعة سلطان ظالم في حكمه، وتغييره بالعنف كما نشهد اليوم مع أيّام الرّبيع العربي.

فالغلام رغم صغر سنّه إلا أنّه استطاع تحويل النّاس عن عبادة الملك الطاغية إلى عبادة الواحد الأحد، وتغيير الأديان من أصعب الأمور والدّليل على ذلك ما حدث للأنبياء مع أقوامهم.

تضع القصّة أمام المتلقي خطة محكمة ذات خطوات ثابتة لمحاربة الظلم والقهر؛ بداية بالإيمان بالله عز وجل، والعمل لأجله بإخلاص النّيّة، ثمّ تحمل المسؤوليّة تجاه المجتمع والمبادرة بالعمل دون مقابل، ثم مساعدة كل النّاس دون تمييز والإحسان إليهم بما يضمن قوّة التّأثير فيهم ومن ثمّة القدرة على الإقناع، ثم مواجهة الظلم وجها لوجه منفردا، ومحاورته بالتي هي أحسن حتى يتم التّغيير دون نزول قطرة دم واحدة، وإن لم يحدث ذلك فالتّضحية بالنّفس لأجل الله تعالى كما فعل الغلام الذي ضحّى بنفسه لأجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله، فقتل نفس واحدة صادقة في مسعاها خير من قتل النّاس جميعا.

وخلاصة القول إنّ الحديث الشّريف امتداد للقرآن الكريم الذي يمثل منهج الأمّة الإسلاميّة ودستورها في الحياة الذي ارتضاه الله عز وجل لها، فهو يحوي بين طيّاته نظريّات في السّياسة والاقتصاد والاجتماع والعلم والتربية والتعليم؛ والسّنّة النّبويّة المطهّرة بما تحويه من أحاديث وقصص جاءت مترجمة لهذا المنهج عمليّا وسلوكيّا على أرض الواقع، من خلال ذكر نماذج منوّعة من البشر حاولت الإصلاح في الأرض، كل حسب عمله وتوجّهه والجانب الذي أصلح فيه، وعند جمعها كلها واستخلاص مقاصدها التي ترمي إليها نجد أنفسنا أمام برنامج إصلاحي واعد يمسّ كل مناحي حياة الإنسان؛ التّربويّة والاقتصاديّة والتّعليميّة والسّياسيّة والاجتماعيّة، يغنينا عن كل الدّساتير الوضعيّة والبرامج الغربيّة في الإصلاح.

وعليه فهذه القصص تسعى إلى التّأثير في المتلقي وإقناعه بما جاءت به من أفكار وخطط وبرامج من أجل تغيير واقعه إلى الأحسن بما يرضيه دنيا ويرضي عنه مولاه في الأولى والآخرة، وهذا هو المسعى الحقيقي للحجاج؛ تغيير المتلقّي بالحوار الفعّال والمتبادل .

الفصل الأول

الحجاج اللغوي

أولا: الحجاج

ثانيا: الحجاج في الفكر الإسلامي القديم

ثالثا: الحجاج اللغوي في الدرس الغربي الحديث

رابعا: الحجاج اللغوي في الدرس العربي الحديث

تمهيد

أصبحنا اليوم في حاجة ماسّة إلى الحجاج، وخاصّة مع التطوّر المستمرّ للحياة اليوميّة وما يطرأ عليه من مستجدّات في كل مرّة، سواء على الصّعيد السياسيّ أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الديني... وذلك في ظل التّعدد والانفتاح الذي آمنت به بعض النّظم السّياسيّة الدّيمقراطيّة وجسّدته على أرض الواقع، فأتاحت الفرصة للجميع للتّعبير عن رأيهم وإقناع الآخرين بآرائهم وأفكارهم.

فأصبح النّقاش سمة العصر بين العامّة والخاصّة حول البرامج والمذاهب والاختيارات، وما أذكى هذه النقاشات وزاد حدّتها إلى درجة التّنافس في الإقناع والتّأثير؛ وسائل الإعلام المختلفة، وخاصّة في هذا العصر الذي شهدت فيه تطوّرا هائلا مع ثورة الاتّصال السّمعي البصري، "بحيث أصبح العالم يعيش في عصر سمته التّواصل، وبالأساس التّواصل الحجاجي الذي يسعى فيه الفرد إلى إقناع غيره بوجهة نظره ، واستمالته إلى جانبه"[1].

وكان لابدّ لهذا الواقع الحجاجي من دراسة وبحث يغوص في أعماقه، ويكشف عن تقنياته وآلياته، ويواكب تطوّراته وتحوّلاته بما يتناسب مع روح العصر. لهذا اهتمّ العلماء والباحثون من مختلف التّخصّصات العلميّة؛ الفلسفة، المنطق، القانون ... بهذا المبحث في محاولة لتجميع شذرات الدّرس الحجاجي وتنظيمها وتطويرها، سعيا إلى رسم خارطة جديدة للحجاج تمدّ جسور التّواصل بين التّراث المرتبط به وأسئلة العصر العلميّة والعمليّة التي تبحث عن إجابة. وقد توّجت الأعمال بظهور نظريّة

[1] رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظريّة وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، دار الروافد الثقافية، بيروت، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ج2، ص 421 .

للحجاج امتدّت جذورها إلى مختلف فروع المعرفة؛ علم الاجتماع، اللسانيّات، علم النّفس، الاقتصاد ...

وسنحاول في هذا الفصل عرض هذه النّظريّة انطلاقا من شذراتها الأولى وصولا إلى نضجها واكتمالها في العصر الحديث مستنبطين مفاهيم الحجاج عند أربابه حتى نأخذ صورة واضحة عنه، تسمح بالفهم والتّطبيق الجيّد للآليّات في هذه الدّراسة ومن ثَمّ ممارستها فعليّا في الواقع، لأنّ الجانب التّنظيري ما هو إلا خطوة أولى لمعرفة التّقنيّات التّطبيقيّة التي يمكن اعتمادها فعليّا في الممارسة الحجاجيّة الواقعيّة.

أولا: الحجــاج في اللغة والاصطلاح

إذا نظرنا إلى كلمة (حجاج) من حيث اللفظ نجدها ترجع إلى مادّة (ح ج ج)، ولهذا تتقارب عدة كلمات ومشتقات إلى درجة التّداخل، من ذلك: (التحاج، الاحتجاج، الحجّة) ولكن بالرّجوع إلى المعاجم العربيّة يظهر لنا الفرق الدّقيق بينهم.

1- الحجاج في اللغة :

أشار (ابن منظور) في معجمه (لسان العرب) إلى الحجاج بقوله: "الحجّ: القصد. حجّ إلينا فلان أي قدم؛ وحَجَّه يَحُجُّه حجّا: قصده. وحججت فلانا واعتمدته أي قصدته. ورجل محجوج أي مقصود. وقد حجّ بنو فلان فلانا إذا أطالوا الاختلاف إليه، أي يقصدونه ويزورونه ...الحُجَّة هي البرهان وقيل الحُجَّة هي ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري الحجّة الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة، وحَاجَّهُ مَحَاجَّة وحِجَاجًا نازعه الحجّة، وهو رجل مِحْجَاج أي جدل، والتّحَاج التّخَاصم، وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ وحِجَاجٌ، وحَجَّه يَحُجُّه حَجًّا غلبه حجّته وفي الحديث : فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحجّة ... الاحتجاج: احتجّ بالشيء: اتّخذه حجّة "[1].

ارتبط الحجاج عند (ابن منظور) بعدة معاني: القصد، البرهان، التّخاصم. حيث قرن الحجّة بالقصد حينا، وبالبرهان والخصومة حينا آخر، وهذا يعني أنّ الحجاج مقصود، بينما التّحاجّ يفترض وجود تخاصم بين متخاطبين فيعمد كل منهما إلى حجّة ودليل وبرهان ساطع حتى يحصل له الغلبة والفوز.

وربّما نجد تمييزا أكثر دقّة بين هذه الألفاظ؛ الحجّة والتّحاجّ والحجاج عند (الطّاهر ابن عاشور)(ت1393هـ) في تفسيره (التّحرير والتّنوير)، حيث يقول في تفسير قوله

[1] ابن منظور، لسان العرب: مادة (ح ج ج)، دار صادر، بيروت، ط2، 1997، م2، ص 28.

تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾[1]. "معنى حَاجَّ خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة التي اشتقّ منها. ومن العجيب أنّ الحجّة في كلام العرب البرهان المصدّق للدّعوى، مع أنّ حاجّ لا يُستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة، وأنّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل"[2].

وفي تفسير قوله تعالى:﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾[3]. يقول: "والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجّة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"[4]. وفي موضع آخر يقول: "المجادلة : المخاصمة بالقول وإيراد الحجّة عليه فتكون في الخير كقوله:﴿ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾[5]، وتكون في الشّرّ كقوله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ ﴾[6]..."[7].

ذكر (ابن عاشور) في تفسيره أنّ معنى حاجّ: خاصم، ومعنى المجادلة: القدرة على الخصام، والتي قد تكون في الخير كما قد تكون في الشّرّ. فالجامع بين معنى اللفظين هو التّخاصم والتّنازع وهذا قريب من قول ابن منظور (التّحاجّ: التّخاصم)، لأنّ (حاجّ والتّحاجّ) من نفس الأصل وكذلك (محجاج: جدل) إلا أنّ الحجاج لا يشترك معهما في الأصل، فهو جمع حجّة لقول ابن منظور (وجمع حجّة حجج وحجاج) أي أنّه لا يعني المخاصمة والمقارعة.

---

[1] سورة البقرة، الآية 258 .

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، الدار الجماهيرية للنشر، تونس، ج3، ص 31،32.

[3] سورة النساء، الآية 107.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص 194.

[5] سورة هود، الآية 74.

[6] سورة البقرة، الآية 197.

[7] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 60.

يمكن القول إنّه وإن اعتبر البعض أن الحجاج مرادف للتّحاجّ والجدل، إلا أنّ التّحاجّ يعني التّخاصم بالباطل ومثل ذلك النّمرود الذي حاجّ إبراهيم –عليه السلام– في ربّه. أمّا الجدل فهو تخاصم من غير نفع ولا تأثير له في الآخر سواء أكان خيرا أم شرّا، فجدال إبراهيم –عليه السّلام– للملائكة في أمر لوط لا طائل من ورائه، لأنّ أمر الله قد أتى وهو قاض لا مناص منه ، كذلك الجدال في الحجّ لا نفع يرتجى منه بل هو خطل السّكوت عليه أفضل.

أمّا الحجاج فهو تحاور مع الآخر سواء أكان هناك اختلاف في الرّأي أم لا، ومحاولة إقناعه والتّأثير فيه قصدا، وهنا تظهر دلالة القصد.

وعليه فالحجاج لا يخلو من قصديّة التّأثير التي لا تفترض وجود طرفي منازعة وخصومة بل تستلزم وجود طرفي خطاب (متكلم، مستمع) يتّخذ كل منهما من الحجج وسيلة إلى الإقناع والتّأثير. فهو يقوم "على أساس التخاطب بين المتكلم والمستمع اللذين يفترض فيهما أن يتحاجّا في أمر يستلزم دليلا أو حجّة له أو عليه"[1]، من أجل التّأثير أو التّغيير أو إحداث علاقة عمليّة أو وجدانيّة.

فالحجاج يؤطّره التّفاعل بين طرفي الخطاب (المتكلم والسامع) "إن تبادلا للتّأثير أو تناقلا للتّغيير أو ترابطا وظيفيّا أو حتى تجاوبا وجدانيّا"[2].

وإذا انتقلنا إلى معنى الحجاج في اللغات الأجنبيّة نجد أنّ كلمة (Argumentation) تتعدّد معانيها، ففي اللغة الفرنسيّة تشير لفظة (Argument) إلى عدّة معان متقاربة أبرزها حسب قاموس روبير (le robert): "هو مجموعة من الحجج التي تستهدف

[1] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر،ع2، م40، أكتوبر، ديسمبر 2011، ص71.

[2] المرجع نفسه، ص 73.

تحقيق نتيجة واحدة، وهو كذلك فنّ استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معيّنة. وهو أيضا الدّفاع عن اعتراض بواسطة حجج"[1].

وفي اللغة الإنجليزيّة جاء في قاموس (كامبردج) (Cambridge) أنّ "الحجاج هو الحجّة التي تعلّل أو تبرّر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما "[2]، أي أنّ الحجاج هو ما تؤيّد به فكرتك أو موقفك إزاء موضوع معيّن إما إيجابا أو سلبا.

وبإجراء مقارنة بين المعنى اللغوي للحجاج في اللغة العربية وبين المعنى الذي يقابله في اللغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة نجد شبه تقارب أو توافق بين المعنيين، وهو استعمال الحجّة وتقديمها دفاعا عن رأي ما أو موقف معيّن أو اعتراضا عليه.

وخلاصة القول إنّ المعنى اللغوي للحجاج وعند مقارنته بباقي الألفاظ والمصطلحات القريبة منه، كشفت لنا عن حقيقته وجوهره؛ فهو وسيلة للتأثير وأداة نسعى من خلالها إلى إقناع المتلقي بمشروعيّة الموقف وصلاحيّته.

ومن خلال التّحديد اللغوي للحجاج يمكن استخلاص النّتائج الآتية:

– الحجاج يسعى إلى تأسيس موقف ما، فهو يتوجّه إلى متلقّ قصد أخذ قبوله.

– الحجاج يرتكز على الحجج التي يجب أن تقدّم بكثرة كما يجب أن يحسن اختيارها وترتيبها حتى تترك أثرا في المتلقي.

– الحجاج يهدف إلى إقناع المتلقي وجعل عقله ينخرط في الأطروحة أو الدّعوى.

– الحجاج يتعلق بالخطاب الطّبيعي من حيث المضمون والاستعمال، فهو ذو فعاليّة تداوليّة.

[1] Le grand robert, dictionnaire de la langue français, 1er rédaction, paris, 1989, p 535.
[2] Cambridge advanced learners, dictionary, Cambrge university press, 2nd pub, 2004, p 56.

2- الحجاج في الاصطلاح :

يعدّ الحجاج مفهوما عائما ويتميّز بالانسيابيّة، لهذا يصعب تحديده تحديدا دقيقا، فهو لم يبق ذلك المصطلح المحصور "في استعمالات خطابيّة ظرفيّة، بل صار بعدا ملازما لكل خطاب على وجه الإطلاق، والسّبب في ذلك أن كل خطاب حالّ في اللغة تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأوّليّة والقاعديّة لكل حجاج، أي عناصر الاستدلال والتّدليل"[1].

لهذا نجد تباينا واضحا في تعريفاته بين العلماء وذلك راجع لزاوية النّظر ونوعيّة الخطاب (قانوني، سياسي، أدبي، علمي ...) فكل واحد قدّم تعريفا حسب منظوره المعرفي ومرجعيّته الفكريّة؛ فهناك من عرّفه من منظور بلاغي، وآخر من منظور فلسفي، ومنطقي وتداولي بل حتى قانوني ونفساني. وهذا التعدّد والاختلاف في دلالات الحجاج يعود إلى عدّة عوامل أبرزها[2]:

- تعدّد مظاهر الحجاج وتنوّعها (الحجاج الصّريح، الحجاج الضّمني).
- تعدّد استعمالات الحجاج وتباين مرجعيّاتها: الخطابة، الخطاب، القضاء، الفلسفة، المنطق والتعليم ...
- خضوع الحجاج في دلالته لما يميّز ألفاظ اللغة الطبيعيّة من ليونة تداوليّة وكذلك من تأويلات متجدّدة وطواعيّة استعماليّة.
- للحجاج أبعاد الخطاب الإنساني المتاح باللغة المكتوبة والمنطوقة.

---

[1] حسن خميس الملخ، الحجاج في الدرس النحوي، مجلة عالم الفكر، ع2، م40، أكتوبر، ديسمبر 2011، ص124.

[2] حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص 159، 160.

وفي خضمّ هذا التّعدّد الدّلالي للحجاج واستعمالاته، يمكن القول إنّ الحجاج هو "طريقة عرض الحجج وترتيبها "[1] كما جاء في موسوعة لالاند.

أو هو "جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها"[2].

3- الحجاج وعلاقته بالإقناع:

الإقناع لغة هو "السّؤال والتذلّل والرّضى بالقِسْم... والقَنَاعَةُ: الرّضى كالقَنَع (محرّكة) ... وقَانِع وقَنُوع وقَنِيع وشاهد مَقْنَعُ؛ أي رضًى يُقْنع به أو بحكمه أو بشهادته، وأَقْنَعَهُ: أرضاه وقَنَّعهُ (بتشديد النون) تَقْنِيعًا؛ أي أرضاه ..."[3] كما جاء في (القاموس المحيط).

وفي (لسان العرب): "قَنِعَ (بالكسر) قُنُوعًا وقَنَاعَةً إذا رضي، وقَنَعَ (بالفتح) يَقْنَعُ قُنُوعًا إذا سأل والمَقْنع (بفتح الميم) العدل من الشّهود، يقال: فلان شاهد مقنع؛ أي رضًا يقنع به. والقَنَاعَةُ الرّضا بالقسم، وأَقْنَعَهُ الشّيء أي أرضاه، وأَقْنَعَنِي كذا أي أرضاني"[4].

وأمّا في (المعجم الوسيط): "اقْتَنَعَ، قَنِعَ بالفكرة أو الرّأي وقَبِله واطمأنّ إليه"[5]. بمعنى الإقناع هو القبول بالرّأي والاطمئنان إليه.

---

[1] أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفيّة، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2001،2، المجلد1، A- G، ص93.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، دط، 1994، ج1، ص 446.

[3] الفيروز آبادي، القاموس المحيط: مادة (قنع)، ج3، ص 73.

[4] ابن منظور، لسان العرب: مادة (قنع)، م8، ص 297.

[5] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: مادة (قنع)، ص 763.

من خلال المعنى اللغوي للإقناع يتّضح أنّه يرتبط بالرّضى، وهذا يعني أن إقناع المتلقي يكون برضاه وطيب خاطره، ولا يكون بالقوّة والإكراه.

أما الإقناع في الاصطلاح فلا يبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي؛ إذ هو العمليّة التي بها يؤثّر الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه بدون إكراه أو قسر، فالمتلقي يذعن برضاه وقبوله لأنّ المتكلم لا يمارس سلطة قهريّة توجب الرّضوخ بالقوّة، بل على العكس من ذلك فهو يمارس سلطة تأثيريّة قويّة قوامها اللغة. ومن هنا يعرّف الإقناع بأنّه "محاولة واعية للتّأثير في السّلوك"[1]. بمعنى أنّه نشاط لساني مشحون بأنشطة فكريّة، تنتج عنها آثار سلوكيّة تتجسّد في شكل مواقف، مجاله الخطاب، يرتكز على المنطق والحجّة ويتطلب درجة عالية جدّا من الثّقافة والدّراية النّفسية بالآخر.

فالمتكلم من خلال خطابه يحاول تغيير سلوك المتلقي، وهذا التّغيير يكون على شقّين: إمّا بالدّفع إلى العمل أو الإحجام عنه، أي أنّ "الإقناع هو حمل النّفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلّي عن فعله واعتقاده"[2].

وهذا لا يكون إلا بالتّأثير في فكر المتلقي وعاطفته، يقول (هنريش بليث): "الإقناع قصد المتحدّث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند المتلقي"[3]. فالمتكلم يسعى دوما وبوعي تام إلى دفع المستمع لفعل معيّن أو لتغيير سلوك معيّن أو معتقد.

---

[1] محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص678.

[2] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا للشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 22.

[3] هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، ص 64.

إنّ مصطلحي الحجاج والإقناع يقتربان من بعضهما البعض إلى حدود التّداخل، وذلك أنّ أحدهما هو غاية الآخر، والثاني هو وسيلة الأوّل في بلوغ غايته. ويمكن توضيح ذلك بالقول: إنّ غاية الحجاج هو الإقناع، ومطيّة الإقناع هي الحجاج.

فنجاعة الحجاج تكمن في إقناع الطّرف الثاني بما يطرحه الطّرف الأوّل في العمليّة الحجاجيّة، أي مدى وصول الخطاب إلى ذهن المتلقي وإذعانه لما يطلبه المتكلم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الحجاج هو الآليّة الأبرز من آليّات الإقناع وتقنياته، لأنّه لا يسعى إلى إفهام المتلقي فقط بل يتجاوز ذلك إلى الغرض التّداولي وهو تحصيل الإقناع، ومن ثَمَّة الدّفع إلى العمل والممارسة والتّغيير.

وتجاوز الإفهام إلى الإقناع هو بعينه الحجاج الذي يرمي إلى "إذعان العقول بالتّصديق لما يطرحه المرسِل أو العمل على زيادة الإذعان... فأنجع حجّة هي التي تنجح في تقوية حدّة الإذعان عند مَنْ يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما يحقّق الرّغبة عند المرسَل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة"[1].

وعليه فالإقناع هو لبّ العمليّة الحجاجيّة، والأثر المستقبلي الذي يتحقّق بعد التلفظ بالخطاب لينتج عنه إذعان عقلي فحسب أو إذعان عقلي مصحوبا بممارسة فعليّة لعمل معيّن، أو اتّخاذ موقف سواء بالإقدام أو الإحجام.

وهذا يعني أنّ هدف المتكلم من خطابه الحجاجي ليس إبراز قوّته الاستدلاليّة واللغويّة أو إفهام المتلقي فقط، بل إنّ خطابه غائي موجّه "غايته القصوى إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار وما يعرضه من مواقف أو إغرائه بهذه الأفكار وتلك

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2000، ص 457 .

المواقف ليُحْدِث في نهاية المطاف أثرا واضحا في المتلقي لا من حيث أفكاره فحسب، بل من حيث مواقفه وما قد يكون له من سلوك واقعي ملموس"[1].

إذن إنّ "للظّواهر الحجاجيّة أهمّيّة كبرى في عمليّة الإقناع لكونها تقدّم الحجج والبراهين وتربطها بالنّتيجة، والحجاج المبني على براهين صادقة حتما يؤدّي إلى نتائج صادقة أمّا الحجاج المبني على براهين كاذبة فمآله الدّحض والنّقض. فالحجّة الصّادقة تعبّر عن شخصيّة صاحبها؛ ذلك أنّ السّامع إذا علم أنّ الخطاب صادر عن قلب منافق وضمير مخادع لا يلقي له بالا، بل سيكون ذلك أدعى للنّفور عمّا يريد المتكلم إقناع السامعين به والانصراف عنه إلى ما يراه أفضل. وبذلك فإنّ الصّدق في القول ومطابقة الظّواهر للباطن أساس مهمّ من أسس الإقناع"[2].

وخلاصة القول إنّ الحجاج "يرسم لنفسه غاية لا يحيد عنها هي الاضطلاع بدور ريادي قيادي فينشد التّغيير والتّطوير"[3]، ولهذا فهو لا يقتصر على متلقٍّ فَرْدٍ، بل قد يكون مجموعة أو شعبا أو الإنسانيّة قاطبة، لأنّه يطمح إلى إقناع أكبر عدد من المتلقين، أو ما يسمّى بالمتلقي الكوني.

وفي الأخير يمكن القول إنّ الإقناع غاية الحجاج ومنتهاه، والحجاج مطيّة الإقناع للوصول إلى التّغيير المنشود، لأنّه جسر يربط بين الكلمة والفعل "إذ حين يضطلع الكلام بوظيفة الحجاج يصبح محرّكا للفعل، صانعا للرّأي والفكرة والموقف"[4].

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث هجري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2007 ، ص 35 .

[2] آمنة بلعلى، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار، نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي، ع89، محرم 1424، 23 مارس 2003، ص 225.

[3] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص 35.

[4] المرجع نفسه، ص 78.

ثانيا : الحجاج في الفكر الإسلامي القديم:

تمهيد

يمثل الفكر الإسلامي التراث الإسلامي بمختلف فروعه واتجاهاته الدينيّة والبلاغية، وليس العربي فقط لأنّ العرب قبل الإسلام حتى وإن مارسوا فنّ الخطابة فعليّا، إلا أنّهم لم ينظّروا لها، ولم تكن لهم دراسات نستقي منها علومهم ومعارفهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن التراث الإسلامي يضمّ نتاج علماء ومفكرين مسلمين عرب وغير عرب.

ولا نريد في هذا الجزء من البحث التّأصيل للحجاج في التراث الإسلامي، أو إظهار جهود علمائنا في هذا المجال وإثبات وجود النّواة الأولى لهذه النظرية عندهم، من أجل التّباهي بهم في محاولة منّا لتأكيد ذاتنا التي بدأت تفقد هويّتها في العصر الحديث. ولكن نحاول بصدق جمع شتات هذه المتفرقات حول الحجاج المبثوثة في كثير من المصنّفات المختلفة التّوجّه؛ تفسير، علوم القرآن، بلاغة ... وتنظيمها بشكل يؤسس لنظرية إسلاميّة معاصرة في الحجاج تستقي أصولها من تراثها الديني والمعرفي، وتضاهي النظريات الغربية الحديثة والمعاصرة، وتساهم في تطوير البحث العلمي بما يخدم الإنسانية جمعاء.

1- الحجاج في الخطاب الديني:

إنّ الخطاب الديني بشقّيه؛ القرآن الكريم والحديث الشريف يسعى دوما إلى تغيير المتلقي معتقدا وفكرا وسلوكا، وذلك بمخاطبة العقل وإقناعه بالحجّة والدّليل بعيدا عن العنف بكل أشكاله لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[1]. خطاب

[1] سورة البقرة، الآية 256.

توسّل اللغة لتحقيق ذلك؛ الأداة السلميّة القادرة على التأثير والتغيير لما تتميّز به من وظائف إخبارية، تواصليّة، حجاجيّة وجمالية... ليكشف لنا عن سبل الحجاج لمن أراد تغيير فرد أو جماعة أو مجتمع ما.

أ- الحجاج في القرآن الكريم:

وردت لفظة الحجاج في القرآن الكريم عشرين مرّة (20) في مواضع كثيرة، وفي مواقف مختلفة وبصيغ صرفية متنوّعة مثل: حجّة، حاجّ، حاجّوك، حجّتنا، يحاجّوكم، أتحاجّوني... وكلها تنبئ عن وجود حوار بين متكلم ومتلقي استخدم فيه الدّليل القاطع والحجّة الواضحة البيّنة، من أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾[1]. فالنّمرود يطلب دليلا في حقيقة وجود الله. وفي تفسير ابن كثير "(ألم تر) أي بقلبك يا محمد إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه (أي وجود الله)، وذلك أنّه أنكر أن يكون ثَمّ إله غيره... وكان طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه"[2].

فقدّم إبراهيم -عليه السلام- دليلا لمخاطَبه، ولكنه لم يقتنع فزاده دليلا أقوى من الأول فأفحمه وأخرص لسانه، يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[3].

---

[1] سورة البقرة، الآية 258.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، كتب هوامشه وضبطه: حسين بن إبراهيم زهران، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة جديدة مخرجة الأحاديث ومصححة، 2006، ج1، ص 287.

[3] سورة البقرة، الآية 258.

وقوله أيضا: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾[1]. في هذه الآية ذكر الله تعالى الحجّة التي تدحض قول أهل الكتاب والتي تتمثل في نزول التوراة والإنجيل بعد إبراهيم – عليه السلام– وهذا يعني أنه لا علم لهم به، فهم لا يعرفونه أصلا.

ثم أضاف حجّة أخرى تدعمها وهي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾[2].

والآيات كثيرة ولكن المجال لا يسمح بعرضها كلها، لهذا سنكتفي بما أوردناه. والملاحظ من ذلك أن لفظة الحجاج في القرآن الكريم أينما وردت تلتها الحجّة أو الحجج التي تدافع عن القضيّة في الموقف المذكور، لنستشف من خلال ذلك أن الحجاج هو الحوار والنّقاش بالحجّة الداحضة التي تفرض قوّتها على سلطان العقل فيستجيب ويقتنع، وإن لم يقتنع فذلك المعاند والجاحد الذي لا سبيل إلى إقناعه.

وهذا يعني أن القرآن يستثير العقول للاقتناع ولا يستهوي النفوس والقلوب بالكلمات الجذّابة والعبارات الرّنّانة، وهذا هو بيت القصيد في الحجاج؛ إعمال العقل وعدم إقصائه عمدا باستثارة النفوس واستمالتها. وما يؤكد ذلك كثرة الآيات التي تخاطب الألباب، ومن ذلك:

قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾[3]. وقوله أيضا:﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ

[1] سورة آل عمران، الآية 65.

[2] سورة آل عمران، الآية 67.

[3] سورة البقرة، الآية 219.

إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾[1]. وقوله أيضا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾[2]. وقوله أيضا:﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾﴾[3].

وكل ذلك ليبيّن لنا أن التغيير الفكري أو العقائدي أو السلوكي لا يكون إلا بالإقناع المبني على الحجة والدّليل، وليس باستثارة النفوس واستمالتها بما تحب وتهوى كما يفعل البعض باستدراج المتلقين للفتن والحروب بالحديث عن الجنة والحور العين بعيدا عن استخدام العقل والمنطق الطبيعي الذي يرفض قتل المسلم مهما كانت المغريات.

فالله –سبحانه وتعالى– من خلال قرآنه يعلّمنا أسلوب الحوار وفن الإقناع ووسائله، وأنماط الحجج وأشكالها حتى نمارسها في حياتنا، وهنا حريّ بنا أن نجمع كل الآيات التي تضمنت لفظة الحجاج من أجل الكشف عن أبعاد هذه النظرية في القرآن الكريم.

لأن القرآن الكريم "أسمى من الخطابة وأسمى من المنطق، فبينما نراه قد اعتمد في مسالكه على الأمر المحسوس، أو الأمور البديهية التي لا يماري فيها العاقل، ولا يشك فيها إنسان، تراه قد تحلل من بعض قيود المنطق التي تتعلق بالأقيسة وأنماطها، والقضايا وأشكالها من غير أن يخلّ ذلك بدقّة التّصوير، وإحكام التّحقيق، وصدق كل ما اشتمل عليه من مقدّمات ونتائج في أحكام العقل، وثمرات المنطق، ولهذا نحن لا

[1] سورة البقرة، الآية 269.

[2] سورة الأنعام، الآية 97.

[3] سورة الجاثية، الآيات 3، 4، 5.

نعد أسلوب القرآن الكريم منطقا، وإن كان فيه صدقه وتحقيقه، وهو إلى الأسلوب الخطابي أقرب، وإن كان كله حقا لا ريب فيه لأنه تنزيل من حكيم حميد"[1].

إنّ الإسلام جاء "بالشريعة الأبديّة التي جاءت للكافّة، ولذلك وجب أن يكون القرآن– وهو حجّته الكبرى– فيه من الأدلة والمناهج العقلية ما يقنع النّاس جميعا على اختلاف أصنافهم، وتفاوت مداركهم، ووجب أن ينزل عند مدارك أخرى، فيجد فيه المثقف بغيته، والفيلسوف طلبه، والعامّة من سواء الشعب غايتهم"[2].

ب– الحجاج في الحديث النّبوي الشريف:

سلك رسول الله ﷺ مسلك القرآن الكريم في الإقناع والتأثير باستعمال الحجج الدامغة التي تدحض الخصم وتردّه عن دعواه، وكان ذلك ديدنه في خطبه وأحاديثه وقصصه ليعلّمنا فنّ التّواصل وأدب الحوار ووسائل الإقناع، لأنه أفضل من فهم القرآن وطبّقه في الواقع؛ فهو كما قالت السيّدة عائشة–رضي الله عنها–: " كان خلقه القرآن".

وبما أن هذه الدّراسة تتناول الحجاج في قصص الحديث الشريف فلن نطيل الكلام هنا ولكن أردنا إدراج قصّة تكشف عن قدرة رسول الله ﷺ الحجاجية، ومدى فهمه لمنطلقات الحجاج وآلياته وتنفيذها بما يناسب المتلقي.

"فقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: قدم على النبي ﷺ وفد نجران وكانوا ستين راكبا فيهم أربعة عشر من أشرافهم فكلم رسول الله ﷺ أبو حارثة بن علقمة والعاقب وعبد المسيح والأيهم السيد وهو من

[1] محمد الكتابي، جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992، ص 446.

[2] المرجع نفسه، ص 446.

النّصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون: هو الله تعالى، ويقولون: هو ولد الله تعالى، ويقولون: هو ثالث ثلاثة. وهم يحتجون لقولهم فيقولون: هو الله تعالى فإنه كان يُحي الموتى ويبرئ الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا. ويحتجون في قولهم إنه ولد الله تعالى: بأنّه لم يكن له أب وقد تكلم في المهد وصنع ما لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله. ويحتجون في قولهم إنّه ثالث ثلاثة: إن الله تعالى يقول: فعلنا وخلقنا وقضينا فلو كان واحدا ما قال إلا فعلت وأمرت وخلقت وقضيت، ولكنّه هو وعيسى ومريم"[1].

نلاحظ أن وفد نجران طرحوا قضيّتهم المتمثلة في ألوهية عيسى –عليه السلام– وقدّموا حججهم التي تؤكد قضيّتهم وتثبتها، وما كان على رسول الله ﷺ إلا أن يدحضها بحجج أقوى وأفحم.

فقال لهم: "ألستم تعلمون أنّه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن الله حيّ لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أنّ ربّنا قيّم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى. قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء؟ قالوا: بلى. قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علّم؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أن الله صوّر عيسى في الرّحم كيف شاء وأن ربّنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشّراب ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمّه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذّى كما

[1] شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، ج3، ص 75.

يغذّى الصّبي ثم كان يأكل الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟ قالوا: بلى. قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فعرفوا ثم أبوا إلا جحودا"[1].

لو تأمّلنا حجاج رسول الله ﷺ في هذه القصّة، لرأينا كيف أنه انطلق من حقائق ثابتة ووقائع يقينية يصدّق بها الخصم كولادة عيسى وأكله للطعام وشربه للشراب، وإحداثه للحدث وعدم مشابهته لله تعالى، حتى يبني حججه عليها، فتكون قويّة وتسدّ كل المنافذ أمام المتلقي ولا تترك له مجالا إلا التّصديق والتّسليم، أو الجحود إن أبى ذلك.

وهذا حتى يعلمنا سبل نجاعة الحجاج التي تتمثل في ضرورة الانطلاق من أرضية مشتركة بين المتحاورين، ومسلّمات يقبل بها الجميع، ومن ثَمّة بناء الحجج وترتيبها بشكل تصاعدي نحو الأقوى لإفحام الخصم.

وهذه المنطلقات التي انطلق منها رسول الله ﷺ ما هي إلا منطلقات الحجاج عند (برلمان وتتيكا)؛ الوقائع والحقائق والقيم والهرميات، ما يدل على وجود نظرية كاملة في الحجاج ولكننا لم نظفر عليها إلى اليوم لتشتت أبحاثنا وتعلقها بكل ما أنتجته الحضارة الغربية أكثر من تعلقها بديننا الحنيف.

وهذا ما يدعونا إلى النّظر في خطابنا الدّيني بشقيه؛ القرآن الكريم والحديث الشريف نظرة مغايرة تمعن في حقيقته وكنهه، وتكشف عن نظرياته العديدة والمتنوّعة، والتي تمس جميع مناحي الحياة، فهو ثقافة حياة وممارسة عملية وليس وسيلة تعبّد فقط، هذه الحياة التي أرادها تعالى لعباده المؤمنين فسطّر نظرياتها ونُظُمها وقوانينها في كتابه وجسّدها رسوله في الواقع حقيقة معاشة، ليبيّنها لنا فنتّبعه ونقتدي به وننجح كما نجح.

[1] الألوسي، روح المعاني، ص 75 .

2- الحجاج في الدّرس الدّيني:

لم يزاوج تعالى في قرآنه بين الحجّة أو الحجاج والجدل، ولكن العلماء هم الذين ذكروا الثاني مرادفا للأول، مع أنّ الحجاج ذكر في مواضع من القرآن الكريم والجدال أو الجدل في مواضع أخرى وهذا ما يدل على عدم توافقها في المعنى.

ففي علم التفسير رأينا من قبل كيف أن (ابن عاشور) قرن بين التحاج والجدال؛ فأما الأول فيعني الخصام. وأمّا الثاني فيعني القدرة على المخاصمة. ومن هنا يكون وجه الشبه بينهما هو الخصام بما يمكن إحلال أحدهما كمرادف للآخر.

ولكن إذا تمعنّا في الآيات التي تضمّنت لفظة الجدل وجدناها تفتقر إلى الحجّة عكس آيات الحجاج . من ذلك قوله تعالى:﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾[1]. وقوله أيضا:﴿ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾[2]. وقوله أيضا: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[3].

وهذا يدل على أن الجدال هو الخصام بالكلام العادي والخالي من الحجج المقنعة، والذي لا يرتجى منه إقناعا ولا تأثيرا في الآخر، وقد يكون في الخير أو في الشر.

ومن هنا لا يمكن أن يكون الحجاج مرادفا للجدل؛ فالأول له غاية يهدف إليها تتمثل في الإقناع والتأثير، أما الثاني فلا غاية له ولا هدف. وهذه النقطة مفيدة في الحجاج، لأن معرفة الطرف الثاني (مجادل، محاجج) تساعد المتكلم على مواصلة الحوار أو إنهائه.

وفي علوم القرآن نجد (بدر الدين الزركشي)(ت 749هـ) في كتابه (البرهان في علوم القرآن) يزاوج أيضا بين الحجاج والجدل في الاستعمال على وجه الترادف، فيورد

---

[1] سورة النساء، الآية 107.

[2] سورة هود، الآية 74.

[3] سورة البقرة، الآية 197.

إحداهما مورد الأخرى حيث استخدم ألفاظ (المحاجة، الحجاج، الاحتجاج) على أنها مرادفة للجدل، ففي الفصل الذي عقده لـ(جدل القرآن) لم ترد في متنه لفظة الجدل ووردت بدلا منها الألفاظ السّابقة الذّكر[1].

كذلك (السيوطي)(ت911هـ) في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) جعل الحجاج مرادفا للجدل أيضا، حتى إنّه عقد له فصلا فيه سمّاه (جدل القرآن) استعمل فيه ألفاظ المحاجة والاحتجاج على أنّها مرادفة للجدل مع أنّه يقصد بهما – الجدل والحجاج – ضمنيّا المذهب الكلامي[2].

أما في علم أصول الفقه جعل (أبو الوليد الباجي) الحجاج مرادفا للجدل في كتابه (المنهاج في ترتيب الحجاج)؛ إذ أورد لفظة الحجاج في العنوان فقط، أما المتن ففي الجدل وهذا ما أكده في مقدمة كتابه بقوله: "أما بعد فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا على سبيل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين... أزمعت على أن أجمع كتابا في الجدل..."[3].

وربما نعزو سبب التداخل بين اللفظين؛ الحجاج والجدل إلى أمرين اثنين: أولهما تأثّر علماء المسلمين باليونان في كتبهم وأفكارهم وآرائهم.

وثانيهما أساليب القرآن الكريم التي تعتمد مخاطبة العقل بالمنطق الطبيعي القائم على النظر والاستدلال والاستنتاج، ما أوهم الكثير باشتراكه مع المنطق اليوناني في

---

[1] ينظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، دط ، 1972، ج2، ص 24،27.

[2] الجدل أو المذهب الكلامي عند السيوطي أنواع هي: السبر والتقسيم والتسليم والإسجال على الخصم والقول بالموجب والانتقال في الاستدلال ومجاراة الخصم والمناقضة وهي تعليق أمر مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه. ينظر تفصيل ذلك: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، دط، دت، فصل: في جدل القرآن، ص135، 137.

[3] أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط2،1987، ص07.

بعض الصور والأشكال، فمزجوا بينهما مع أن "مادة كل منهما على اختلاف كبير جدا، فمادة القرآن يقينيّة الإنتاج يقينيّة المقدّمات، ومادّة المناطقة قد تنتج وقد لا تنتج. كما أن مادّة القرآن وقواعد منطقه مبنيّة على العلم الإلهي الذي أحاط بكل شيء علما، في حين أن قواعد وأركان المنطق اليوناني مبنيّة على القياس القائم على الاستقراء والتّتبّع، الذي يعني استقراء وتتبّع جزئيّات كلي ما، ثم وضع حكم كلي على الاستقراء، فإن شمل كل الجزئيات –وهذا بعيد– سمّي (استقراء تاما) وإلا سمّي (ناقصا)"[1].

وهذا ما يدفعنا إلى إعادة النظر في دراسات الحجاج في القرآن الكريم؛ فمن الضروري جمع كل الآيات التي وردت فيها لفظة الحجاج فيه وتحليلها ومن ثَمّة مقارنتها بنظيرتها التي تضمّنت لفظة الجدل أو الجدال للوصول إلى نتائج تؤكد ما ذهب إليه الأقدمون أو تفنّد ذلك من أجل الفصل بينهما وتبيين حقيقة كل منهما؛ حجاج هدفه الإقناع والتأثير والتغيير، وجدل عقيم لا فائدة ترجى من ورائه غير إثارة البلبلة والفوضى.

وذلك حتى نغيّر طبيعة حواراتنا (الاجتماعية والاقتصادية والدينية ...) في حياتنا عامّة وعبر وسائل الإعلام والاتّصال المختلفة، من جدليّة غير نفعيّة إلى حجاجيّة مفيدة.

[1] طه عبد الله محمد السبعاوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص101.

ثالثا: الحجاج اللغوي في الدّرس الغربي الحديث

تمهيد:

تضاربت النظريات حول مبحث الحجاج وذلك راجع إلى الخلفيات الفكرية للباحثين ناهيك عن زوايا النظر والمجال الذي مارست فيه كل نظرية عملها؛ فإن كان (برلمان وديكرو) في نظريتهما يركزان على انتماء الحجاج للبلاغة الجديدة، وما ينبثق عن ذلك من خروج الخطاب عن نسقه اللغوي البحت إلى وقائع أخرى تتعلق بمنتجي الخطاب (المتكلم، المستمع) وأحوالهم النفسية والاجتماعية وما إلى ذلك، فـ "الوقائع تحضر في سياق التفاعل الخطابي الحجاجي متلونة بسيرورة التذاوت القائم بين المتكلم والمخاطب ومصبوغة بالمعايير والقيم التي تؤثث فضاء التواصل بينهما"[1].

في حين أن (ديكرو وأنسكومبر) يريا عكس ذلك؛ فالحجاج عندهما حال في اللغة، ولا يوجد تمايز بين الوقائع وصياغتها اللسانية "لأن اللغة في كليتها إن هي إلا ترجمة للوقائع في سياق حركية حجاجية متصلة، أو بعبارة أخرى تحويل transposition حجاجي للوقائع، بحيث يكون كل استعمال للغة هو في حد ذاته حجاجا بغض النظر عن السياق الخارجي لهذا الاستعمال وأغراضه المخصوصة ما دام أن الحجاج مؤصل في الأنسجة القاعدية للغة"[2].

وهذا التوجه اللساني في دراسة الحجاج يركز على البنية اللغوية للخطاب باحثا عن مختلف الآليات اللسانية التي تتيح إمكانية قيام حجاج داخل اللغة. وقد وضع أسس هذه النظرية (ديكرو وأنسكومبر) سنة 1973، انطلاقا من نظرية أفعال الكلام

[1] رشيد الراضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية، مجلة عالم الفكر، ص 194.

[2] رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 747.

(لأوستين وسورل) عندما أضافا فعل الاقتضاء والحجاج، وبذلك أخذ الحجاج في دراسته منحى لسانيا بحتا.

1- مفهوم الحجاج اللغوي عند (ديكرو وأنسكومبر):

تهدف نظرية الحجاج اللغوي التي وضعها كل من (أوزفالد ديكرو) O. Ducrot و(جان كلود أنسكومبر) **Gean-Claud-Anscombre** إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة ووصفها انطلاقا من فرضية محورية ألا وهي: "أننا نتكلم عامة بقصد التّأثير". لأن اللغة تحمل وظيفة حجاجيّة في طياتها، وبصفة ذاتية وجوهرية تتجلى في بنية الأقوال ذاتها، صوتيا، وصرفيا، وتركيبيا، ودلاليا.

فـ "القيمة الحجاجية لقول ما ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب، بل إن الجملة بإمكانها أن تشمل على مورفيمات وتعابير أو صيغ والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباري فهي تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول، وتوجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك"[1].

وهذا يعني أنّ الحجاج في اللغة يُعنى بدراسة كيفية اشتغال الأقوال داخل خطاب ما، وذلك برصد تسلسلها وتواليها داخل الخطاب بصورة استنتاجية، فحين "نصف خطابا ما بأنه خطاب حجاجي، فذلك معناه أن هذا الخطاب يحتوي على ملفوظين اثنين على الأقل: م1 وم2، حيث يقوم أحدهما بتعزيز وإسناد الآخر، فيسمى الأول حجة والثاني نتيجة"[2].

فـ"الأقوال تتتابع وترتبط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر، أي أنّ المتكلم يجعل قولا ما حجّة لقول آخر هو بلغة الحجاج (نتيجة) يروم

[1] Oswald Ducrot, les échelles argumentatives, Edition de Minuit, Paris, 1980, p 18.

[2] Anscombre et Ducrot, L'argumentation dans la langue, Mardaga, Bruxelles, 1983, p 163.

إقناع المتلقي بها وذلك على نحو صريح واضح أو بشكل ضمني. بمعنى آخر أن المتكلم قد يصرّح بالنتيجة وقد يخفيها فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخباريّة، بل اعتمادا على بنيتها اللغويّة فحسب"[1].

وعليه فالحجاج في اللغة إذن هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها[2].

وللحجج اللغوية سمات تميّزها عن غيرها، من بينها[3]:

– **إنها سياقية:** فالعنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإن السياق هو الذي يصيره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة المتضمنة لقضية واحدة قد تكون حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.

– **إنها نسبية:** فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف.

–**إنها قابلة للإبطال:** فإن الحجاج اللغوي عموما نسبي ومرن وتدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي.

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص 23 .

[2] ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص 16.

[3] ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 193.

2- وظيفة الحجاج:

إن وظيفة الحجاج عند (ديكرو) هي التّوجيه (L'orientation)، وهو توجيه للمتلقي والخطاب معا، وفي ذلك يقول الباحثان: "إنّ المحاجة من أجل حصول النتيجة (ن) بواسطة (أ)، (أي استخدام (أ) من أجل بلوغ النتيجة (ن) إنّما هي في نظرنا ضرب من تقديم (أ) على أنّها ينبغي أن تؤدّي بالمتلقي إلى استنتاج (ن)، وجعل (أ) علّة لاعتقاد (ن)"[1].

أي أن غاية الخطاب الحجاجي "تتمثل في أن تفرض على المخاطَب نمطا من النّتائج باعتباره الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يسير فيه"[2]. حيث يحرص المتكلم على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها من خلال تسيير خطابه بطريقة تقود المتلقي إلى نتيجة معينة أو يصرفه عنها.

3- العلاقة الحجاجية:

إنّ الخطاب اللفظي يتوفر على خاصية حجاجية مباطنة له ليست لها علاقة بأي معايير منطقية خارجية، وحجاج هذا الخطاب يتجلى في العلاقات بين المنطوقات والأقوال، وهي علاقة مكوّنة لتلك الأقوال وتوجهها في مجتمع ما توجيها معينا[3]. فالعلاقة الحجاجية هي تأليف بين الملفوظات حيث تنبني على أساس معنى الملفوظات ذاتها داخل الخطاب دون أي علاقة بالعالم الخارجي.

فالخطاب الحجاجي ينبني على أقوال وملفوظات (م1، م2)، أحدهما حجة والثاني نتيجة، ومثال ذلك: "هذه قصة جميلة، اقرأها إذن" أو "اقرأ هذه القصة مادامت جميلة".

---

[1] Anscombre et Ducrot, L'argumentation dans la langue, p 28.

[2] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص 23.

[3] ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 105.

في هذا المثال يقوم الملفوظ الأول "هذه قصة جميلة" مقام الحجة، ويقوم الملفوظ الثاني "اقرأها إذن" مقام النتيجة. ويربط بينهما (إذن) أو (مادام) التي يطلق عليها الروابط الحجاجية، والعلاقة الرابطة بين الحجة والنتيجة تسمى علاقة حجاجية، ويمكن تمثيلها كالآتي:

ح ⟵ ن حيث (ح): حجة و(ن): نتيجة

4- السلالم الحجاجية:

أهمّ ما ميّز نظريّة (ديكرو) الحجاجيّة السّلّم الحجاجي؛ حيث اعتبر الحجاج "صنفا مخصوصا من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدّلاليّة، والخاصّيّة الأساسيّة للعلاقة الحجاجيّة أن تكون درجيّة (scalaire) أو قابلة للقياس بالدّرجات، أي أن تكون واصلة بين سلالم"[1]. والسلالم الحجاجية سنفصل الكلام فيها في الفصل الثاني من هذا الكتاب، وذلك للجمع بين النظري والتطبيقي.

5- الروابط والعوامل الحجاجية:

إن نظرية الحجاج في اللغة "تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية"[2].

فالمتكلم يوظف كل الإمكانات المتاحة للغة حتى يكون ملفوظه حجاجيا ويحقق الإقناع الذي يصبو إليه، ولذلك فإنه يقوم "بتضمين الملفوظ مجموعة من العلامات والإشارات (وهي التي اصطلحنا عليها بالإرشادات) التي تحدد كيف ينبغي تأويله، وأي معنى يجب إسناده إليه، وتعتبر العوامل والروابط من ضمن أهم المواضع التي

[1] صابر حباشة، الحجاج في التداولية، مدخل إلى الخطاب البلاغي، مجلة ثقافات، تونس، 2011 ، ص 203.

[2] أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 189.

ينعكس فيها هذا التوجه الحجاجي"[1]. لما لها من دور في توجيه الحجة أو النتيجة على حد سواء.

أ- الروابط الحجاجية:

وهي مجموعة من الأدوات أو العناصر التي تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو الأكثر)، تسند لكل قول دورا محدّدا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة[2] ومن هذه الأدوات: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن ، لأن، إذ، بما أن ... وهي تنقسم إلى أربعة أنواع: الروابط المدرجة للحجج، الروابط المدرجة للنتيجة، الروابط المدرجة للتساوق، الروابط المدرجة للتعارض. وسنفصل الحديث فيها أكثر في الفصل الثاني.

ب- العوامل الحجاجية:

إن العامل الحجاجي لا يربط بين قولين، ولكنه يساهم في تحويل الطاقة الحجاجية للملفوظ، "فهو وحدة لغوية إذا تمّ إعمالها في ملفوظ معين، فإن ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ"[3]. أي إنّ دورها ينحصر في "حصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما"[4]. وتضم العوامل بعض الأدوات مثل (ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر.

ج- المبادئ الحجاجية:

هي مجموعة من القواعد العامة التي يرتكز عليها الحجاج، فتساهم في ضمان سلامته إلى جانب الروابط والعوامل الحجاجية، وذلك من خلال ضمان الربط بين الحجة والنتيجة. فهي "المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة

---

[1] رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية، ص 770.

[2] أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 199.

[3] رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية، ص 771.

[4] أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 199.

لغوية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها... وبعض هذه المبادئ يرتبط بمجال القيم والأخلاق، وبعضها الآخر يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم"[1].

ومن أمثلة ذلك: أن الجميع يعتقد أن الاجتهاد يؤدي إلى النجاح، وأن الكسل يؤدي إلى الفشل، وأن المرض يستدعي العلاج، وأن التعب يستدعي الراحة أو النوم، وانخفاض درجة الحرارة يؤدي إلى احتمال سقوط المطر... وهكذا. وتتسم هذه المبادئ بمجموعة من الخصائص منها:

- **الاشتراك الجمعي:** هي مجموعة الأفكار والمعتقدات المشتركة بنن الأفراد في مجموعة بشرية معينة، وقد تختلف من مجتمع إلى آخر.
- **العمومية:** تكون صالحة لسياقات كثيرة ومختلفة.
- **التدرجية:** إقامة علاقة بين ملفوظين تدريجيين، أو بين سلمين حجاجيين مثل العمل والنجاح.
- **النسبية:** يمكن تشغيل المبدأ الحجاجي في سياق، وإبطاله في سياق آخر لأنه غير ملائم، أو لاعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له. فالعمل يؤدي إلى النجاح ولكنه يؤدي إلى الفشل في سياق آخر إذا زاد على الحد المطلوب وإذا نظر إليه على أنه تعب وإرهاق وإهدار للطاقة[2].

وعلى العموم يمكن القول إنّ الحجاج في اللغة عند (ديكرو وأنسكومبر) يتميّز بميزتين أساسيتين هما: الوظيفة الحجاجيّة للبنى اللغويّة، والسمة التّوجيهيّة للخطاب. فهو قائم في جوهر اللغة، فكل قول هو قول حجاجي، وقد يكون في ذلك مبالغة كبيرة لأنّ للغة وظائف أخرى لا تقل أهمّيّة عن الحجاج.

---

[1] المرجع السابق، ص 203.

[2] المرجع نفسه، ص 202.

رابعا: الحجاج اللغوي في الدرس العربي الحديث

تأثر الدّرس العربي الحديث في مجال الحجاج بالنظريّات الغربيّة المعاصرة؛ هاته الأخيرة التي تنبثق عن رؤى مختلفة ومرجعيّات فكريّة متنوّعة ما انعكس ذلك على البحث العربي الحديث؛ إذ اتّجه اتّجاهات عديدة: فلسفيّة، بلاغيّة، لسانيّة، نقديّة. وذلك راجع للخلفيّة الفكريّة للباحث أوّلا، ثم النظريّة المعاصرة التي تمثل محط أنظاره ومركز اهتمامه. وما يهمنا هنا هو الاتجاه اللساني اللغوي.

1- الحجاج اللغوي عند أبي بكر العزاوي:

أبرز من يمثل الحجاج اللغوي في العالم العربي المغربي (أبو بكر العزاوي) الذي كانت نظرية الحجاج في اللغة (لديكرو) مركز اهتمامه وخاصّة في دراساته المعمّقة؛ إذ كانت أطروحته الأولى لنيل الدكتوراه موسومة بـ (الروابط الحجاجيّة العربيّة) وقد أشرف عليها (ديكرو) شخصيّا.

أمّا الثانية فكانت لنيل دكتوراه الدولة معنونة بـ (الحجاج في اللغة العربيّة – دراسة في المنطق اللغوي-) وهي بحث موسّع عن سابقه إذ درس إلى جانب الروابط الحجاجية؛ المعنى والاستعارة والأمثال العاميّة والصّورة الإشهاريّة، وأنماط متنوّعة من النّصوص والخطابات.

وبهذه الدراسات يجد نفسه رائد هذا المجال في العالم العربي دون منازع، ثم واصل فيه أبحاثه وأعماله حيث أثرى الساحة العربيّة بمؤلّفات عديدة أبرزها: (الخطاب والحجاج) و(اللغة والحجاج)، ليسمح للقارئ العربي بالإطلالة على المنجز الغربي، وليفتح له أفقا جديدا في البحث قوامه الحجاج واللغة.

وهو في ذلك ليس منظّرا ولا مقلّدا ولكنّه مجدّد على حسب ما تجود به قريحته، وهذا ما بيّنه في حوار[1] له مع الأستاذين: نذير عبد اللطيف وعبد الله الشيخ لـ (بيان اليوم) يشير فيه إلى أنّه ليس صاحب نظريّة، وأنّه لا يكتفي بمجرّد التّطبيق كما جاء به (ديكرو) على اللغة العربيّة، بل أنّه يضيف ويجدّد ويطوّر في حدود إمكانيّاته المعرفيّة والعلميّة.

ويؤكّد على أنّه عمل على تطوير النّظريّة الحجاجيّة وتوسيع مجال تطبيقها، إذ لم يعد مجال النظريّة محصورا في دراسة العوامل والرّوابط والأدوات الحجاجيّة بل شمل النصوص والخطابات بمختلف أنواعها: الخطابات الأدبيّة والصّحفيّة والسّياسيّة والإشهاريّة والاقتصاديّة والدّينيّة والفلسفيّة وغيرها.

ويذكر أنّه عمل على تطبيق نظريّة (الحجاج في اللغة) على ظواهر جديدة لم يدرسها (ديكرو) ولا تلامذته، ويقصد ظاهرة الاستعارة وما أسماه الحجاجيّة الأيقونيّة والتي توجد في مختلف أنماط الصّور الإشهاريّة، فضلا عن دراسته لظواهر أخرى مثل الانسجام النّصّي وتعالق الرّوابط في إطار منطق النّص أو منطق الخطاب والبرنامج الحجاجي.

2- مؤلفات العزاوي في الحجاج اللغوي:

كتابه (اللغة والحجاج) هو عبارة عن دراسة نظريّة للحجاج؛ إذ عرّف بنظريّة الحجاج في اللغة في الفصل الأول من الكتاب مبيّنا أهم مفاهيمها وأبرز مصطلحاتها، ثم خصّص الفصل الثاني لدراسة الرّوابط الحجاجيّة في اللغة العربيّة، ليركّز على

[1] أبو بكر العزاوي، لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل، بيان اليوم، المغرب، 02 /12/ 2006. http://www.bayanealyaoume.net

الاستعارة والحجاج في الفصل الثالث، لينتهي في الفصل الأخير إلى دراسة قوّة الكلمات أو اللغة بين الإنجاز والحجاج.

وفيه عقد مقارنة بين الجوانب الإخباريّة للكلام وجوانبه الإنجازيّة والحجاجيّة، وقصد من هذا الفصل بيان سلطة اللغة، وهو موضوع قديم عالجه الباحث من منظور نظريّة الأفعال وقوّة الكلام اللغويّة ونظريّة الحجاج في اللغة.

أمّا كتابه (الخطاب والحجاج) فهو عبارة عن دراسة تطبيقيّة للحجاج في خطابات متنوّعة، ولهذا فهو يعدّ امتدادا لكتابه الأوّل (اللغة والحجاج) ذي الصبغة النّظريّة، حيث قام في كتابه الثاني بدراسة الحجاج في مستويات مختلفة من الخطاب (القرآن الكريم، الشعر، المثل، الصّورة الإشهاريّة) من خلال تحليل نماذج متنوّعة، وكان يهدف إلى إثبات أنّ الحجاج مرتبط "بكافة أشكال التّواصل اللغوي وغير اللغوي"[1]. من خلال التّركيز على الجوانب الحجاجيّة الاستدلاليّة للنصوص المراد تحليلها.

[1] أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، الأحمديّة للنشر، المغرب، دط، دت، ص 10.

الفصل الثـانـي

بنية الحجاج في القصة النبوية

أولا: السلالم الحجاجية

ثانيا: السلالم الحجاجية في القصة النبوية

ثالثا: الروابط الحجاجية في القصة النبوية

رابعا: العوامل الحجاجية في القصة النبوية

خامسا: المقتضى المعجمي ودوره الحجاجي

سادسا: المقتضى التركيبي ودوره الحجاجي

تمهيد:

إنّ غاية الحجاج ومنتهاه هو الإقناع والتّأثير، فالمتكلم يتوسّل اللغة من أجل الحصول على قبول متلقيه لنتيجة ما، وذلك بتقديمه لسبب يجعل هذه النّتيجة مقبولة. فاللغة حجاجيّة بالدّرجة الأولى وكل قول هو في الحقيقة حجاج كما يرى (ديكرو)، لأنّنا لا نتكلّم عبثا وإنّما لقصد ومرمى نسعى إليه. فهي تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية"[1] في طيّاتها، تتجلى في بنية الأقوال وتسلسلها وتواليها داخل الخطاب بصورة استنتاجية.

وهذا هو الحجاج "عمليّة تلفّظيّة يقوم بها مستخدم اللغة لمحاولة تغيير معتقدات وتمثّلات مخاطَبه أو متلقيه"[2]، وذلك بتقديم الحجج والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة وبعبارة أخرى، يتمثّل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغويّة، وبعضها الآخر هو بمثابة النّتائج التي تستنتج منها[3].

وهذه النتائج تؤدّي إلى إقناع المتلقي بما يحمله المتكلم من أفكار وما يعرضه من مواقف أو إغرائه بهذه الأفكار وتلك المواقف ليُحْدِث في نهاية المطاف أثرا واضحا في المتلقي لا من حيث أفكاره فحسب، بل من حيث مواقفه وما قد يكون له من سلوك واقعي ملموس.

---

[1] أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 134، المغرب، ط1، 2006، ص 55.

[2] فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2011، ص 102.

[3] ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص 57.

أوّلا: السلم الحجاجي

1- مفهوم السلم الحجاجي:

يعرفه طه عبد الرحمن بأنّه عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبيّة وموفية بالشّرطين الآتيين[1]:

- كل قول يقع في مرتبة ما من السّلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطّرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

- كل قول كان في السّلّم دليلا على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه". ويمكن أن نرمز له بالشّكل التالي:

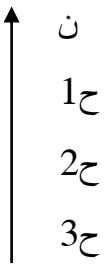

تمثّل ح1 وح2 وح3 حججا متدرّجة بشكل تصاعدي خدمة للنّتيجة المقصودة (ن).

إذًا السلم الحجاجي هو "علاقة تراتبيّة للحجج تحدّد بموجبها مراتب القولات ودرجاتها، باعتبار وجهتها وقوّتها الحجاجيّتين"[2]، مع وجود تلازم بين الحجّة (ح) والنّتيجة (ن) وهذا "التّلازم لا يتحقّق إلا بإضافة الحجّة إلى نتيجتها، والتي قد يكون مصرّحا بها أو مضمرة"[3]. وكمثال على ذلك: الجوّ بارد. هذا القول يمثل حجّة لنتيجة مضمرة وهي لبس المعطف أو إغلاق الباب...

---

[1] ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998 ص 277.

[2] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص 96.

[3] المرجع نفسه، ص93.

وعلى هذا الأساس "فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجيّة ما علاقة ترتيبيّة معيّنة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إذْ ذاك إلى نفس السّلم الحجاجي، فالسّلم الحجاجي هو فئة حجاجيّة موجّهة"[1] تفرض على المخاطَب نمطا معيّنا من النّتائج باعتباره الاتّجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار. والقيمة الحجاجيّة لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره[2].

ولتوضيح ذلك ندرج هذا المثال:

- حصل أحمد على شهادة الليسانس
- حصل أحمد على شهادة الماستر
- حصل أحمد على شهادة الدكتوراه

فهذه الجمل تتضمّن حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجيّة، وإلى نفس السّلّم الحجاجي أيضا؛ إذ تؤدّي كلّها إلى نتيجة مضمرة تتجلّى في (تفوّق أحمد) أو (مرتبته العلميّة). وعند تمثيل السّلّم الحجاجي ستكون الحجّة الأقوى في أعلى السّلم، وذلك كما يبيّنه الرّسم الآتي:

التّفوّق العلمي ⟵ نتيجة

الدكتوراه
الماستر } حجج
الليسانس

[1] O Ducrot, Les echelles argumentatives ,Minuit ,Paris ,1980 ,p18.

[2] O Ducrot, Dire et ne pas dire, Hermann, Paris, 1980, p28 .

وبناء على ما سبق فإنّ المخاطِب الذي يرمي إلى إقناع مخاطَبه بأمر معيّن أو التّأثير فيه، "فإنّه لا محالة يوظّف فئة حجاجيّة؛ تكون بمنزلة دعامة استدلاليّة لغرضه الذي من أجله كانت العمليّة التّخاطبيّة. وهذه الحجج التي يوردها لن تكون على درجة واحدة، بل تختلف وتتفاوت فيما بينها وفق القوّة والضّعف"[1]. وهذا ما نجده في قصص الحديث النّبوي، إذ تتسلسل أقوال النّبي صلى الله عليه وسلم وتتتابع بشكل تدريجي من الأضعف إلى الأقوى في ترتيب حجاجي بغية إقناع المتلقي بالقصد المراد، ولتوضيح الأمر أكثر ندرج بعض الأمثلة من قصص الحديث النّبوي:

قصّة «خلق الأرض» التي جاء فيها: "**لمّا خلق الله الأرض جعلتْ تميد وتتكفأ، فأرساها الجبال فاستقرّتْ، فتعجّب الملائكة من شدّة الجبال فقالت: يا ربّنا هل خلقتَ أشدّ من الجبال؟ قال: نعم، الحديد. قالوا: فهل خلقتَ خلقا أشدّ من الحديد؟ قال: نعم، النّار. قالوا: فهل خلقتَ خلقا أشدّ من النّار؟ قال: نعم، الماء. قالوا: هل خلقتَ خلقا أشدّ من الماء؟ قال: نعم، الرّيح. قالوا: هل خلقتَ خلقا أشدّ من الرّيح؟ قال: نعم، ابن آدم إذا تصدّق بصدقة بيمينه فأخفاها عن شماله**"[2] .

تتتابع الأقوال في هذه القصّة بشكل تصاعدي حثيث "في مقدّمات يسلم بعضها إلى بعض كأقيسة المنطق، توصل في سرعة وسلامة إلى النّتيجة، بحيث لا يشعر المخاطَب من سرعة التّتابع والانقياد للمسلّمات بجهد دون غايته"[3].

ويمكن تمثيل ذلك كالآتي:

---

[1] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص 95.

[2] أحمد بن حنبل، المسند، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، دط، 1955، ج3، ص 124.

[3] كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 253.

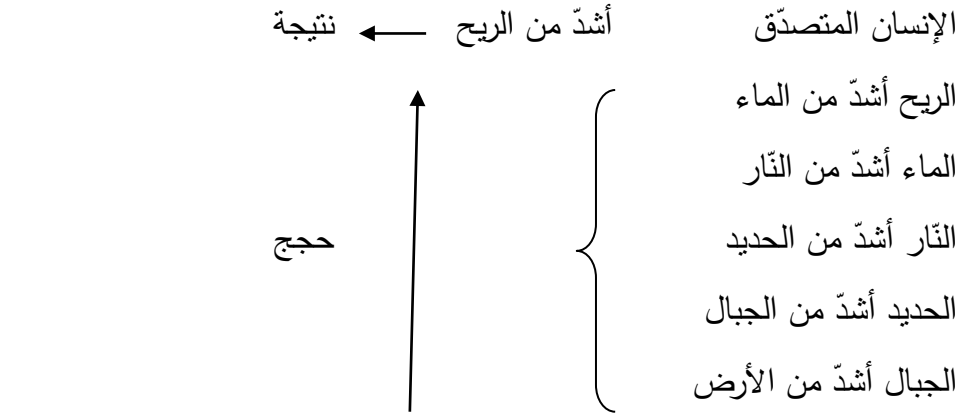

نلاحظ في هذه القصّة أنّ الحجج تزداد قوّة كلما تصاعدت في السلّم لتفضي إلى نتيجة تمثّل "قمّة تتألّق فوقها العظمة لصدقة السّر التي تجعل صاحبها أقوى من جميع قوى الطّبيعة. إنّه يستطيع أن يقهرها جميعا لأنّه قهر الشّيطان وقهر نفسه المجبولة على الشّح"[1]. يقول تعالى:﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾[2].

فالنّبي صلى الله عليه وسلم ينقل المتلقي في سلاسة ويسر من مقدّمة إلى أخرى يستنتج ويطوي حتى يصل إلى الهدف المنشود؛ الإسراع إلى صدقة السّر التي يكون العبد بفضلها أعظم خلق الله وأشدّهم قوّة.

قصّة «الشفاعة» التي جاء فيها: "... **يقول: إنّ ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه نهاني عن الشّجرة فعصيته، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح... اذهبوا إلى إبراهيم... اذهبوا إلى موسى... اذهبوا إلى عيسى... ائتوا النّبي فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفّع وسَلْ تُعطه**"[3].

---

[1] المرجع السابق، ص 255.

[2] سورة الحشر، الآية 09

[3] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 334 (رقم الحديث 3340).

تكشف القصّة عن مشكلة كبيرة يقع فيها البشر يوم القيامة، فيجدّون في البحث عن الحل فينتقلون بين الأنبياء والرّسل بشكل متتابع، فتظهر الحجج في خط بياني تصاعدي وصولا إلى النّتيجة وبلوغا لصاحب الحل والشّفاعة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعليه يكون السلم كالآتي:

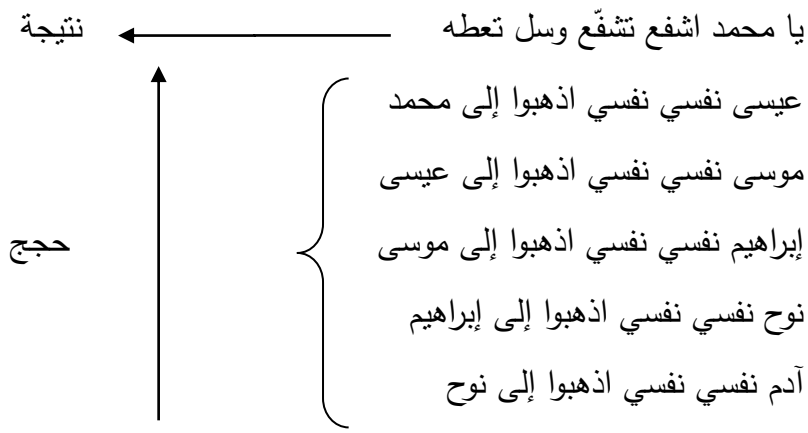

إنّ هذا المنطق التّصعيدي للحجج والانتقال من مسلّمة إلى أخرى يقود المتلقي إلى التّسليم والإذعان للنّتيجة، والتي تتجلّى في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله تعالى وفضله على باقي الرّسل، فبفضله يبدأ الحساب، وهو الشّافع المشفّع، وهو أوّل من يدخل الجنّة ويفتح بابها، وهو السّاقي على الحوض، فهو الرّحمة المهداة لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[1]. وهذه النّتيجة تدفع المتلقي إلى حبّه والاقتداء به وتعظيمه والصّلاة عليه دائما في كل وقت وحين.

في هاته القصّتين يسلك الحجاج مسلكا تدريجيّا مبنيّا على الأقوال، حيث نجد الحجّة التي تعلو سابقتها أقوى منها وهكذا دواليك، وذلك لإقناع المتلقي أكثر في كل مرّة ولزيادة إذعانه وتسليمه درجة درجة إلى غاية الوصول إلى النّتيجة المبتغاة، وتحويلها إلى فعل. وهذا هو صلب فعل الحجاج؛ "تدافع الحجج وترتيبها بحسب

[1] سورة الأنبياء، الآية 107.

قوّتها، إذ لا يثبت، غالبا، إلا الحجّة التي تفرض ذاتها على أنّها أقوى الحجج في السّياق. ولذلك ينشد المخاطِب الحجج التي يرى أنّها تتمتّع بالقوّة اللازمة التي تدعم دعواه"[1].

2- قوانين السلم الحجاجي:

تتحكّم في السلم الحجاجي ثلاثة قوانين هي: قانون الخفض وقانون القلب وقانون التّبديل.

أ- قانون النّفي:

"إذا كان قول ما (أ) مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معيّنة، فإنّ نفيه (~أ) سيكون حجّة لصالح النّتيجة المضادّة"[2]. وهو يماثل ما يسمّيه (طه عبد الرحمن) قانون التّبديل، ومفاده "أنّه إذا كان القول دليلا على مدلول معيّن، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله"[3].

وكمثال على ذلك:

- أحمد طالب متفوّق، لقد نال جائزة.
- أحمد ليس طالبا متفوّقا، أحمد لم ينل جائزة.

إنّ قبولنا الحجاج الوارد في المثال الأوّل، يحتّم علينا قبول الحجاج الوارد في المثال الثاني أيضا. ويمكن توضيح الأمر أكثر بإدراج بعض الأمثلة من قصص الحديث النّبوي:

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 241.

[2] O . Ducrot, Les échelles argumentatives, p27.

[3] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 278.

قصة «الكفل» التي جاء فيها: "... **وقال: والله لا أعصي الله بعدها أبدا. فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه: إنّ الله قد غفر للكفل**"[1]. يمكن تمثيل السلم الحجاجي للقصة كالآتي:

غفر للكفل..... ↑ ↑ لم يغفر للكفل ..... ~ **ن**

لا أعصي الله أبدا ... **ح** أعصي الله دوما .... ~**ح**

إنّ قبولنا للحجاج الوارد في القصّة والموضّح في السّلم الحجاجي والذي يستلزم حصول المغفرة لكل تائب أحجم عن فعل المعاصي كما هو حال الكفل، يحتّم علينا قبول نقيضه أيضا والوارد في السّلم الحجاجي الثاني والذي يستلزم عدم حصول المغفرة لكل عاصٍ يموج في مستنقع الخطيئة معرضا عن التّوبة.

وهذا التّسلسل في القول عبر السلم الحجاجي يفضي إلى نتيجة إيجابيّة يتمنّاها كل مسلم ويوحي بنتيجة سلبيّة يخشاها كل مؤمن، وهذا ما يدفع المتلقي إلى الإسراع بالتّوبة والإحجام عن المعصية طمعا في هذه النّتيجة المغرية. يقول النّبي صلى الله عليه وسلم: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له"[2].

قصّة «مومسة وكلب» التي يقول فيها صلى الله عليه وسلم: "**غُفر لامرأة مومسة، مرّت بكلب على رأس ركيّ يلهث ... فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك**"[3]. وقصّة «امرأة وهرّة» التي جاء فيها: "**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**"[4].

---

[1] أحمد بن حنبل، المسند، ج6، ص 334، 335.

[2] عبد الرحمن بن عمر الشيباني، تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، تح: محمد عثمان الخشبت، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، دت، ص 96.

[3] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب بدء الخلق، ص 329 (رقم الحديث 3321).

[4] المصدر نفسه، ج2، كتاب بدء الخلق، ص 328، 329 (رقم الحديث 3318).

إنّ القصّة الثانية هي في الحقيقة نَفْي ونقيض للقصّة الأولى، ولتوضيح ذلك أكثر نمثّل لهما بالسّلّمين الآتيين:

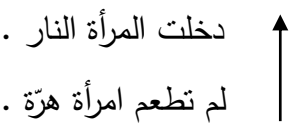

قدّم النّبي صلى الله عليه وسلم في هاتين القصّتين شكلين للحجاج عن قصد؛ إذ نجد أحدهما نفي للآخر لأنّ المتلقي الذي يقبل بالحجّة الأولى فإنّه من المسلّم به أن يقبل بالثّانية، وهذا حتى يضع المتلقي بين خيارين (المغفرة والعذاب)، (الجنّة والنّار) ويترك له المجال للاختيار واتّباع السّلوك الأفضل في رأيه، ومن ثمّة تجسيده في الحياة.

ب- قانون القلب:

ومقتضى هذا القانون "أنّ السّلم الحجاجي للأقوال المنفيّة هو عكس سلّم الأقوال الإثباتيّة. وبعبارة أخرى، إذا كان (أ) أقوى من (أَ) بالقياس إلى النّتيجة (ن)، فإنّ (~أ) هو أقوى من (~أَ) بالقياس إلى (لا – ن). ويمكن التّعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى فنقول: إذا كانت إحدى الحجّتين أقوى من الأخرى في التّدليل على نتيجة معيّنة فإنّ نقيض الحجّة الثّانية أقوى من نقيض الحجّة الأولى في التّدليل على النّتيجة المضادّة"[1].

ويمكن تمثيلها كالآتي:

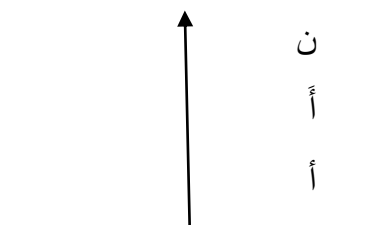

[1] O. Ducrot, Les échelles argumentatives, p27.

ويمكن توضيح الأمر أكثر بالمثالين الآتيين:

– حصل أحمد على شهادة الدكتوراه، وحتى شهادة الماستر.

– لم يحصل أحمد على شهادة الماستر، ولم يحصل على شهادة الدّكتوراه.

إنّ حصول أحمد على شهادة الدكتوراه تمثّل الحجّة الأقوى على كفاءته العلميّة من حجّة حصوله على الماستر، في حين أنّ النّقيض؛ عدم حصوله على الماستر تمثّل دليلا أقوى على عدم كفاءته العلميّة من عدم حصوله على الدّكتوراه.

وإذا انتقلنا إلى قصص الحديث النّبوي فإنّنا نجد منها ما ورد فيها السّلّم الحجاجي ونقيضه في نفس القصّة، ومنها ما ورد سلّما واحدا فقط، ومن النّوع الثّاني ندرج هذه القصّة:

قصّة «صوت سحابة» التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**... فما تصنع فيها؟ قال: أمّا إذا قلت هذا؛ فإنّي أنظر إلى ما خرج منها فأتصدّق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأردّ فيها ثلثه**"[1]. يمكن تمثيل السلم الحجاجي لهذه القصّة كالآتي:

سقي السحابة للحديقة ..... **ن**	لا تسقي السحابة الحديقة .... **~ن**
ثلث صدقة للفقراء.....**ح1**	ليس الثلث للفقراء.....**~ح1**
ثلث صدقة للأهل.....**ح2**	ليس الثلث للأهل.....**~ح2**
ثلث المال للحديقة.....**ح3**	ليس ثلث المال للحديقة.....**~ح3**

إنّ أقوى حجّة في السّلم الأوّل تتمثّل في الصّدقة على الفقراء والمحتاجين لأنّ من تصدّق على المساكين فهو بطبيعة الحال قد أغنى أهله وكفاهم مؤونتهم، وهذه الحجّة هي التي أوجبت سقي حديقة هذا الرّجل. في حين نجد عند قلب السّلم أنّ الحجّة

[1] مسلم، الصحيح، ج1، كتاب الزهد والرقاق، ص 452 (رقم الحديث 2974).

الأقوى تتمثّل في عدم الإنفاق على الحديقة، فمن لم ينفق على مشروعه الاقتصادي فكيف سينفق على أهله أو على الفقراء والمحتاجين.

وهذه الحجّة القويّة دليل على عدم سقي السّحابة لحديقته، لأنّ من بخل ولم يتكرّم لا ينتظر خرق العادة من الكريم المنعم، فالجزاء من جنس العمل.

تتعاضد الأقوال في هذا السّلم الحجاجي وتشتغل بشكل تساندي لتبيّن فضل الصّدقة وقيمتها في الإسلام والمنح الإلهيّة التي تتنزّل على صاحبها والتي تفوق الوصف والخيال؛ خرق العادة وتغيير نواميس الكون التي بيده تعالى كما حدث مع صاحب الحديقة، وهذا كلّه من أجل دفع المتلقي للتّصدّق والإسراع لنيل المزايا من صاحب العطايا.

ج- قانون الخفض:

والمقصود به "أنّه إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السّلم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها"[1]. فترتيب الحجج يمكن "أن يعدّل ويتغيّر من لحظة لأخرى بتدخّل عوامل معيّنة، ذلك أنّ إضافة حجّة جديدة إلى مجموعة من الحجج يمكن أن تغيّر من مدلولها. وبالتّالي من قوّتها"[2]. وكمثال على ذلك:

- الجوّ ليس باردا.

في هذا المثال قد يكون الجوّ دافئا أو حارّا، لهذا تستبعد التّأويلات التي ترى أنّ البرد قارس وشديد، وتتجلّى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أنّ الخفض الذي ينتج عن النّفي لا يتموقع في السّلم الحجاجي، فلا تتدرج الأقوال الإثباتيّة من نمط: (الجوّ

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 277.

[2] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص 98.

بارد) والأقوال المنفيّة من نمط: (ليس الجوّ باردا) في الفئة الحجاجيّة نفسها ولا في السّلم الحجاجي نفسه[1].

ثانيا: السلالم الحجاجيّة في القصّة النّبويّة

إنّ مفاهيم الحجّة والنّتيجة في السلّم الحجاجي اقتصرت في البداية على الأقوال فقط، وهذا ما أكّد عليه (ديكرو) في كتابه (السّلّميّات الحجاجيّة)، إلا أنّها في أعماله الأخيرة تعدّت ذلك فأصبحت الحجّة "عبارة عن عنصر دلالي يقدّمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجّة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص، أو قد تكون مشهدا طبيعيّا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك"[2].

وقصص الحديث النّبوي لا تخلو من السّلم الحجاجي، فهو حاضر بنسب متفاوتة في جميع القصص، وقد وظّفه رسول الله صلى الله عليه وسلم "لفرض نسق من المحاججة يهدف به إلى توجيه مشارِكِه عمليّة التّلفّظ إلى دائرة معيّنة من الإقناع قصد الحصول على مقاصده أو تبليغ مبتغاه من الخطاب"[3].

ولهذا تنوّع استخدام السّلم الحجاجي في القصّة النّبويّة، بين سلّم يضمّ أقوالا متدرّجة ومتسلسلة في قصّة واحدة، وبين سلّم يحوي مجموعة من القصص التي تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجيّة، ولتوضيح الأمر أكثر سندرج كل نوع من القصص على حده، وسنبيّن السلالم الحجاجيّة المدرجة فيه.

---

[1] ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 24.

[2] أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص 58.

[3] خليفة الميساوي، الوصائل الحجاجية في المقاربات اللسانية الغربية، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص501.

1- السلم الحجاجي في القصص ذات البعد التربوي:

إنّ السلم الحجاجي كما رأينا من قبل يمثّل "علاقة ترتيبيّة للحجج"[1]، بمعنى ترتيب الحجج وترتيب أجزاء القول، أو كما يقول (رولان بارت): "التّرتيب هو توزيع المواد داخل كل جزء من أجزاء الخطاب"[2]. وسندرج بعض القصص النّبويّة التي استخدم فيها النّبي صلى الله عليه وسلم السّلالم الحجاجيّة:

قصّة «الرّجل الذي زار أخا له» والتي جاء فيها: "... **أريد أخا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أنّي أحببته في الله عز وجل. قال: فإنّي رسول الله إليك، بأنّ الله قد أحبّك كما أحببته فيه**"[3].

يمكن تمثيل السلم الحجاجي كالآتي:

أحبّك الله تعالى	**ن**
أحببته في الله	**ح1**
ليس له من نعمة عليّ	**ح2**
أريد أخا لي	**ح3**

يورد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصّة حججا متساندة في سلم متصاعد لتخدم نتيجة واحدة؛ ألا وهي حب الله عز وجل للعبد، "فعندما ينتمي معنى جملتين أو أكثر إلى الحقل الاستدلالي الحجاجي نفسه يعني ذلك أنّهما يسعيان إلى نتيجة واحدة"[4].

---

[1] أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص 59.

[2] رولان بارت، البلاغة الجديدة، تر: عبد الكبير الشرقاوي، نشر الفنك للغة العربية، دط، 1994، ص 142.

[3] مسلم، الصحيح، ج2، كتاب البر والصلة والآداب، ص 519 (رقم الحديث 2567).

[4] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص 97.

وحينها تسير الحجج في اتّجاه حجاجي واحد ولكن تتفاضل فيما بينها قوّة وضعفا فيختار المتكلّم "الدّليل الأنسب، وفي هذه الحالة تتعيّن معنا القوّة الاستدلاليّة المعيّنة"[1].

فإذا تأمّلنا السّلم الحجاجي نجد أنّ الحجّة الأقوى فيه هي: محبّة الرّجل لأخيه في الله تعالى دون أيّ غرض آخر –علاقة قرابة، مصاهرة، تجارة، ردّ الجميل– هي إذن محبّة خالصة لله وحده. وقد رتّبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى درجات السّلم لأنّ المحبّة تمثّل قوّة روحيّة حقيقيّة تتحوّل إلى ترجمة سلوكيّة في المجتمع فتفرض قيم التّواضع واللين والإيثار والتّعاون والأخوّة ...

وعليه فالنّبي صلى الله عليه وسلم يهدف إلى إقناع المتلقي بها ودفعه للقيام بها حتى يخلق "فردا فعّالا وإيجابيّا يتميّز سلوكه بالصّبغة الأخلاقيّة المحمودة والمطلوبة اجتماعيّا"[2]، هذا من جهة ومن جهة أخرى للظّفر بالنّتيجة الخياليّة التي تتعدّى الوصف؛ حبّ الله تعالى للعبد وما ينجم عنه من هبات وعطايا لقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ **زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ**، نَادَاهُ مُنَادٍ: بِأَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلا"[3].

وقوله أيضا: "إنّ من عباد الله لَأُناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله. قالوا: يا رسول الله فخبّرنا من هم؟ قال: **هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها**، فوالله إنّ وجوههم لنور،

---

[1] المرجع السابق، ص 97.

[2] معتوق جمال وأوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي (التربية الصوفية نموذجا)، دفاتر مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، ص 151.

[3] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، اعتنى به: محمد علي قطب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت, طبعة جديدة، 2005، ص 108.

وإنّهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس"[1]، وقرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[2].

قصّة «الأبرص والأقرع والأعمى» والتي جاء فيها: "...**فإنّما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك**"[3].

في هذه القصّة نلمح سلّما حجاجيّا تقابليّا متولّدا عن التّعارض الحجاجي الموجود بين الأبرص والأقرع من جهة، وبين الأعمى من جهة ثانية. ففي السّلم الحجاجي "قد تكون الحجج الواردة في الملفوظ لا تتّجه لإسناد نفس النّتيجة وإنّما تساند كل حجّة نتيجة معارضة للنّتيجة التي تساندها الحجّة الأخرى"[4].

ولهذا لا يمكن وضع الحجج في مجموعة تدليليّة – فئة حجاجيّة – واحدة بل في فئتين حجاجيّتين حيث تحدّد كل فئة بنتيجتها المشتركة. ويمكن تمثيل السّلّم الحجاجي للقصّة كالآتي:

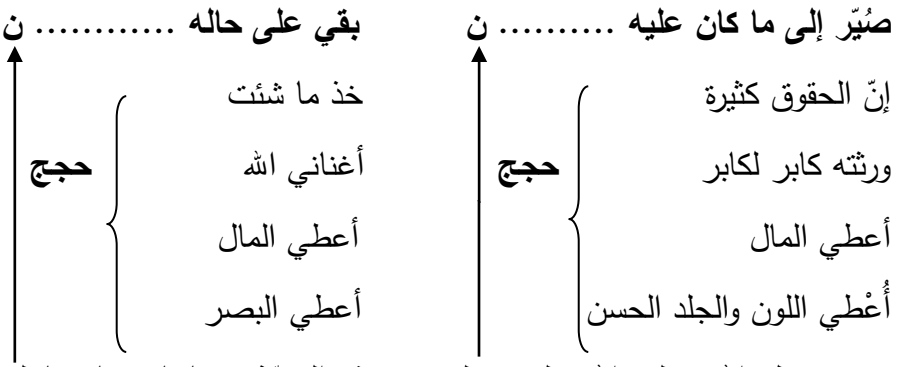

يورد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصّة حجاجا متعارضا لمعرفته بالخلق؛ فهم صنفين: شاكر وناكر، حامد وجاحد. ومهما اختلف الزّمان وتغيّر المكان

---

[1] النووي، رياض الصالحين، ص 112.

[2] سورة يونس، الآية 62.

[3] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 372 (رقم الحديث 3464).

[4] رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية، ص 784.

لن يخرجوا عن هذين الصّنفين. لهذا حدّد الفئة الحجاجيّة في العلاقة الحجاجيّة الأولى بنتيجتها (سُخْط الله عز وجل وزوال النّعمة)، وفي العلاقة الحجاجيّة الثانية بنتيجتها أيضا (رضى الله تعالى ودوام النّعمة).

وذكر النّتيجتين المتعارضتين عن قصد حتى يمنح المتلقي حرّيّة الاختيار ولا يفرض عليه النّتيجة فرضا لأنّ الحجاج "معقوليّة وحريّة، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة ومن أجل حصول التّسليم برأي الآخر بعيدا عن الاعتباطيّة واللامعقول ... وبعيدا عن الإلزام والاضطرار...الحجاج عكس العنف بكل مظاهره"[1].

ترك النّبي صلى الله عليه وسلم للمخاطَب حرّيّة اختيار السّبيل الذي سيسلكه في حياته، وبناء على اختياره سيتحمّل النّتائج المترتّبة عليه؛ الجحود وما ينتج عنه من سخط الله تعالى وزوال نعمه الظاهرة والباطنة، الحسّيّة والمعنويّة، الدّنيويّة والأخرويّة (الصّحة والمال والبنين ...). الحمد والشّكر وما ينجم عنه من رضى الله تعالى وزيادة في النّعم وبركة في الرّزق ومنح وعطايا في الدّنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۝٧ ﴾[2]. والعاقل يختار النّتيجة الإيجابيّة ويبـدأ العمل مباشرة لتحصيلها، وهذا هو مراد النّبي صلى الله عليه وسلم دفـع المسلمين لشكر الله –عز وجل– وحمده على كل النّعم.

---

[1] عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال: مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة – برلمان وتتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، دط، دت، ص 298.

[2] سورة إبراهيم، الآية 07.

قصّة «يطلب أن يحرق» التي جاء فيها: "**إنّ رجلا حضره الموت فلمّا يئس من الحياة أوصى ... فجمعه الله فقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك. فغفر الله له**"[1].

قصّة «العبد يصيب الذّنب فيستغفر» والتي جاء فيها: "**إنّ عبدا أصاب ذنبا وربّما قال: أذنب، فقال: ربّ أذنبت، وربّما قال: أصبت فاغفر لي، فقال ربّه: أعلم عبدي أنّ له ربّا يغفر الذّنب ويأخذ به، غفرت لعبدي ثمّ مكث ما شاء الله، ثمّ أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا فقال: ربّ أذنبت أو أصبت آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أنّ له ربّا يغفر الذّنب ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثمّ مكث ما شاء الله ثمّ أذنب ذنبا وربّما قال: أصاب ذنبا، قال: ربّ أصبت أو أذنبت آخر فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أنّ له ربّا يغفر الذّنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء**"[2].

قصة «الكفل» التي جاء فيها: "**كان الكفل لا يتورع عن ذنب عمله ...فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه: إنّ الله قد غفر للكفل**"[3]

قصّة «مومسة وكلب» التي يقول فيها صلى الله عليه وسلم: "**غُفر لامرأة مومسة ... فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك**"[4]. وقصّة «رجل وكلب» التي جاء فيها: "**بينا رجل يمشي فاشتدّ عليه العطش ... فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له ...**"[5].

تنتمي هذه القصص الخمسة إلى فئة حجاجيّة واحدة وذلك لوجود علاقة تربط بين عناصرها وتكمن هذه العلاقة في دعم نتيجة واحدة مشتركة؛ المغفرة (غُفر له).

---

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 370 (رقم الحديث 3452).

[2] مسلم، الصحيح، ج2، كتاب التوبة، ص 598 (رقم الحديث 2758).

[3] أحمد، المسند، ج6، ص 334، 336.

[4] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب بدء الخلق، ص 329 (رقم الحديث 3321).

[5] المصدر نفسه، ج2، كتاب المساقاة، ص 83 (رقم الحديث 2363).

ولو تمعنّا النّظر أكثر سنكتشف أنّ عناصرها وإن كانت تتوحّد في الانتماء إلى الفئة الحجاجيّة نفسها، إلا أنّها تتمايز في مظهر آخر، وهو قوّة حجّة كل قصّة في إسناد هذه النّتيجة الواحدة ويمكن تمثيل السلم الحجاجي لهذه الفئة كالآتي:

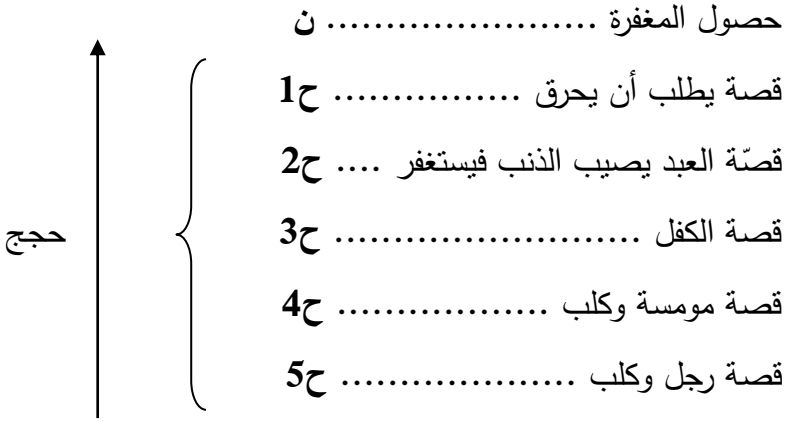

إنّ ترتيب القصص على هذا النّحو من اجتهاد الباحثة لأنّه ليس بين أيدينا أيّ دليل على كون هذه القصّة أو تلك قد رواها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الأولى، فكتب الصّحاح التي اعتمدناها لا تذكر التّرتيب الزّمني للقصص ولا حتى المناسبة أو السّبب الذي ذكرت لأجله القصّة إلا نادرا، فالقصص مبثوثة في الكتب ومدرجة ضمن أبوابها، فلم يدرج لها حتى بابا خاصّا بها رتّبت فيه حسب الأولويّة.

وهذا ما جعلنا نتبنّى مبدأ القوّة الحجاجيّة بما أنّنا ندرس الحجاج في قصص الحديث النّبوي، لأنّ "الحجج لا تتساوى ولكنّها تترتّب في درجات قوّة وضعفا، ومأتى هذا التّرتيب هو أنّ الظّواهر الحجاجيّة تتطلّب دوما وجود طرف آخر تقيم معه علاقة استلزام "[1]. ومقتضى هذا المبدأ أنّ قيمة الملفوظ تتحدّد من خلال العلاقة التي يقيمها مع طبقة أخرى من الملفوظات التي تشترك معه في الانتماء إلى السلّم الحجاجي

[1] شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 364.

نفسه، حيث يتضمّن كل ملفوظ خاصّيّة تجعله يحتل رتبة معيّنة من هذا السّلّم[1]. وعليه فالقصص موجودة ضمن مجموعة من الوحدات التي تستعمل لوصف الفعل الذي يستلزم النّتيجة (حصول المغفرة)، وهذه الأفعال بالتّرتيب؛ الخشية والخوف، التّوبة والرّحمة...

إنّ قصّة «يطلب أن يحرق» في أعلى السّلم الحجاجي لأنّها الحجّة الأقوى، فحصول اليائس من الحياة على المغفرة بالرّغم من أنّه لم يقدّم شيئا لآخرته بتاتا، ما عدا الخوف من الله تعالى وهو على فراش الموت فطلب من بنيه الحرق بعد الموت. فهو لم يفعل خيرا ولم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر، ومع ذلك غفر له لخَشْيَةٍ امتلكته وهو في سكرات الموت.

من المُسَلَّم به أن قبول هذه الحجّة يستلزم قبول كل ما ورد تحتها من حجج، فإذا كان الذي لم يقدّم شيئا لآخرته سوى الخوف من الله قد غفر له، فما بالك بالذي يذنب ثمّ يستغفر ويتوب فهو أولى بالمغفرة، والأوْلى منه الذي تاب ولم يكرّر الذّنب (الكفل)، والأوْلى منه الذي أذنب ومع ذلك قام بفعل الخير (المومسة)، والأوْلى منهم جميعا الذي لم يذنب وقام بفعل الخير (الرّجل).

وعليه يمكن تمثيل السلم الجزئي لكل قصّة من الفئة الحجاجيّة السّالفة الذّكر كالآتي:

قصّة «يطلب أن يحرق»:

النّتيجة: الحصول على المغفرة

الحجّة: الخوف (وأوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي)

[1] ابتسام بن خراف، الحجاج في الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، دراسة تداولية، رسالة دكتوراه، إشراف: السّعيد بن إبراهيم، جامعة الحاج لخضر، باتنة،2010/2009، ص 156.

قصّة «رجل يصيب الذنب ويستغفر»:

النّتيجة: الحصول على المغفرة

الحجّة: التّوبة والاستغفار (ربّي أذنبت فاغفر لي)

قصّة «الكفل»:

النّتيجة: الحصول على المغفرة

الحجّة: التّوبة (والله لا أعصيه بعد اليوم أبدا)

قصّة «مومسة وكلب»:

النّتيجة: الحصول على المغفرة

الحجّة: رحمة الحيوان (فنزعت له من الماء)

قصّة «رجل وكلب»:

النّتيجة: الحصول على المغفرة

الحجّة: الرّحمة (فسقى الكلب)

إنّ المتأمّل لهذه السّلالم الحجاجيّة الجزئيّة التي تخدم نفس النّتيجة (مغفرة الله تعالى) يتبيّن له أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عمد إلى ذكرها بهذا النّمط عن وعي وقصد تام، وذلك حتى يدفع المتلقّين إلى تبنّي هذه الأفعال وممارستها في حياتهم اليوميّة، هذا من جانب، ومن جانب آخر ليغريهم برحمة الله الواسعة وفضله العظيم، لمعرفته بطبائعهم وأصنافهم؛ فمنهم العاصي والمذنب وفاعل الخير... وذلك حتى لا ييأسوا من رحمة الله تعالى ولا يقنطوا أبدا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا

فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾[1].

فقصّة «العبد يصيب الذّنب فيستغفر» تدفع المتلقي للتّوبة على الفور وتبيّن له الطّريق السّهل لذلك؛ مداومة الاستغفار لأنّ العبد غير معصوم من الخطأ ولكن خير الخطّائين التّوابون، وهذا ما جعل الله تعالى يغفر لعبده على الدّوام بل زد على ذلك بأن قيل له: (غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء) لأنّ "التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له"[2] كما يقول ﷺ.

وإنْ كانت القصّة السّابقة تحثّ المتلقّي على التّوبة للحصول على المغفرة والجنّة، إلا أنّها في قصّة «الكفل» تكشف عن التّرجمة الفعليّة للتّوبة في الواقع فالكفل بعد توبته بقوله: (والله لا أعصيه بعد اليوم أبدا) سمح للمرأة بالذّهاب وأخذ الأموال دون أن يلمسها.

فالتّوبة قوّة روحيّة واجتماعيّة في الوقت نفسه "تعمل على إعادة تنظيم عمليّة التّفاعل الاجتماعي وإعادة نسج شبكة العلاقات الاجتماعيّة قصد ضمان سيادة السّلوك الاجتماعي السّوي، وذلك من خلال إرجاع الحقوق إلى أصحابها الحقيقيّين الأمر الذي يتيح انتشار التّضامن والتّكافل والوحدة الاجتماعيّة أي أنّ التّوبة تساعد على تفعيل التّفاعل الاجتماعي الإيجابي"[3]. وهذا هو المقصد الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتحوّل الأخلاق الرّوحيّة إلى أفعال حقيقيّة ملموسة في الواقع.

---

[1] سورة آل عمران، الآية 135 .

[2] عبد الرحمن بن عمر الشيباني، تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، تح: محمد عثمان الخشبت، دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر، دط، دت، ص 96.

[3] معتوق جمال وأوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص 147.

وبناء على ما سبق يمكن تشكيل سلّم حجاجي خاص بالقصّة التّربويّة يجمع كل قصصها بشكل تدريجي، فيكون كالآتي:

النّتيجة: بناء الجانب الرّوحي للعبد المسلم

حجج:
- قصص التّوبة
- قصص الرّحمة
- قصص الخوف والخشية
- قصص الإخلاص
- قصص المحبّة

إنّ هذا السّلّم الحجاجي الخاص بالقصص التّربويّة يبيّن لنا مسعى النّبي صلى الله عليه وسلم وقصده من الحجاج، فهو يهدف إلى إقناع المتلقي في كل زمان ومكان بتزكية النّفس وتهذيبها وذلك باتّصافها بمكارم الأخلاق – الرّحمة والتّوبة والخشية والخوف والإخلاص والمحبّة...– في خطوة أولى إلى بناء الجانب الرّوحي للعبد باعتبار أنّ الرّوح الإنسانيّة هي المحطّة الأولى والأساسيّة في مسار التّزكية والارتقاء، يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[1].

ومن ثمّة دفعه إلى تفعيلها في البناء الاجتماعي بجميع أنظمته الاقتصاديّة والسّياسيّة والثّقافيّة، لأنّه بفقدانها "يفقد الأفراد والمؤسّسات القيم والمعايير الموحّدة التي تصنع توجّهاتهم السّلوكيّة العامّة والمشتركة، ليقع المجتمع بعد ذلك في فوضى القيم الشّخصيّة المصلحيّة المتناحرة ويصنع الانحراف والإجرام مبرّرات وجوده الاجتماعي"[2]

[1] سورة الجمعة، الآية 02.

[2] معتوق جمال وأوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص 138.

2- السلم الحجاجي في القصص ذات البعد الاجتماعي:

في السّلّم الحجاجي قد تتضافر الحجج وتتساند لخدمة نفس النّتيجة، وفي هذه الحالة تسير الحجج في اتّجاه حجاجي واحد. ومن أمثلة ذلك:

قصّة «زمزم» والتي جاء فيها: "**أوّل ما اتّخذ النّساء المَنْطِق من قِبَل أم إسماعيل اتّخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة، ثمّ جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكّة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثمّ قفّى إبراهيم منطلقا فتبعته أمّ إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيّعنا ...**"[1].

تتسلسل الأقوال في هذه القصّة وتتتابع في سلم حجاجي واحد، يمكن تمثيله كالآتي:

إنّ الله لن يضيّعنا ..... **ن**

أمرني الله بذلك **ح1**

الوادي ليس فيه إنس ولا شيء **ح2**

أين تذهب وتتركنا؟ **ح3**

أقوى حجّة في هذا السّلّم "أمرني الله بذلك" وهي لم ترد مصرّحة بهذا الشّكل في القصّة ولكنّها جاءت إجابة عن سؤال: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. وهذه الحجّة هي الأعلى في السّلّم الحجاجي لأنّها تعبّر عن طاعة إبراهيم عليه السّلام لله عزّ وجلّ

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص341 (رقم الحديث 3364).

وتسليم لأمره ورضى بقضائه فلا يهم أن يترك زوجته وطفله الوحيد في واد قفر لأنّ الله تعالى أولى من الزّوجة والابن وإن كانا أحبّ النّاس إليه.

حجّة دفعت لحجّة أخرى أقوى منها وإن كانت مضمرة إلا أنّنا نستدلّ عليها من السّياق، قول سارة: (اذهب يا إبراهيم فإنّ الله لن يضيّعنا)، هذه الحجّة تكشف عن طاعة الزّوجة لله تعالى ولزوجها؛ إذ كان بإمكانها أن تلحقه، أو لا تتركه يذهب فتتمسّك به، أو تبكي وتصرخ أو ما إلى ذلك. وهي حجّة أقوى من سابقتها لأنّ سارة امرأة ضعيفة وغير قادرة على تحمّل هذا البلاء، ولكنّها مع ذلك قبلت ورضيت لتعطي نموذجا للمرأة الصّالحة التي تؤازر زوجها في أصعب الأوقات، وتعينه على تحمّل الصّعوبات، وتساعده على تخطّي العقبات من أجل الفوز دنيا وأخرى.

أسرة خلّدها تعالى في كتابه العزيز، بل أكثر من ذلك؛ إذ جعلنا نتمثّلها في حياتنا ونجسّد أعمالهم من خلال أداء مناسك الحج؛ السّعي بين الصّفا والمروة إعادة لفعل سارة، رجم الشّيطان إعادة لفعلهم جميعا في بلائهم الثّاني؛ ذبح إسماعيل عليه السّلام.

وكأنّ بالحقّ سبحانه وتعالى يقول لنا في كل موسم حج: ألا تروا عبدي إبراهيم كيف ضحّى بابنه وزوجته لأجلي في المرّة الأولى؟ وكيف ضحّى به للمرّة الثّانية مع أنّه فلذة كبده وقد أنجبه على كبر وليس له سواه، وكيف فعلت زوجته وابنه أيضا؟ إذ لم يستمع الثّلاثة إلى الشّيطان وهم في قمّة الألم والشدّة والبلاء.

ألا تروا هذه الأسرة الصّالحة؟ ألستم قادرين على تحمّل بعض البلاء مثلهم؟ ألستم قادرين على طاعتي مثلهم؟ ألستم قادرين على ذبح شهواتكم مثلهم؟ ألستم قادرين على مخالفة الشّيطان والابتعاد عن المعاصي مثلهم؟

إذن هذا السّلّم الحجاجي قصده النّبي صلى الله عليه وسلم لتغيير نمطيّة تكوين الأسر؛ بإقناع المتلقي إلى تحديد الهدف من الزّواج؛ إذ لا يكمن في إشباع الرّغبات

والشّهوات الحيوانيّة، ولكنّ يتجلّى في تكوين أسرة صالحة طائعة لله تعالى قادرة على تحمّل الصّعوبات في سبيل إرضائه عزّ وجل. أسرة تكون لبنة أولى لمجتمع مثالي يعتدّ به، قادر على قيادة المجتمعات الإنسانيّة جمعاء للخير والإحسان، والعدل والسّلام.

أسرة مثاليّة تؤسّس لواقع جديد يُبنى على أسس صحيحة ومتينة حتى لا تنهار ولا يشرّد أبناؤها، ولا يضيع المجتمع في فوضى التّفكّك والانحلال. ولذلك تواصل نفس القصّة طريقها في نفس المجال لتعين المسلم على تحديد طريقة بناء الأسرة.

وممّا جاء في القصّة أيضا: "... **فجاء إبراهيم بعدما تزوّج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثمّ سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشرّ، نحن في ضيق وشدّة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السّلام وقولي له يغيّر عتبة بابه. فلمّا جاء إسماعيل كأنّه آنس شيئا فقال: هل جاءكم من أحد، قالت: جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشتنا فأخبرته أنّا في جَهد وشدّة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرئك السّلام ويقول غيّر عتبة بابك، قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك فطلّقها.**

وتزوّج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثمّ أتاهم فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النّبي صلى الله عليه وسلم: لم يكن لهم يومئذ حبّ ولو كان لهم دعا لهم فيه. فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السّلام ومريه يثبّت عتبة بابه.

فلمّا جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد، قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته وسألني كيف عيشتنا فأخبرته أنّا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السّلام ويأمرك أن تثبّت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك..."[1].

في السّلّم الحجاجي "قد تكون الحجج الواردة في الملفوظ لا تتّجه لإسناد نفس النّتيجة وإنّما تساند كل حجّة نتيجة معارضة للنّتيجة التي تساندها الحجّة الأخرى"[2]، كما هو الحال في هذه القصّة، والتي يمكن تمثيل سلمها الحجاجي كالآتي:

الزّوجة الأولى		**الزّوجة الثّانية**
غيّر عتبة بابك (طلّق زوجتك)... **ن**	↑	ثبّت عتبة بابك (أمسك زوجتك)... **ن**
شكت إليه **ح1**	|	أثنت على الله **ح1**
نحن في ضيق وشدّة **ح2**	|	نحن في سعة **ح2**
نحن بِشرّ **ح3**	|	نحن بخير **ح3**

تتسلسل أقوال النّبي **صلى الله عليه وسلم** في هذه القصّة وفق سلم حجاجي متعارض لأنّ الحجج تخدم نتيجتين متعاكستين، وقد عمد صلى الله عليه وسلم إلى هذا النّوع من الحجاج في أغلب قصصه إن لم نقل جميعها لأنّه كان يسعى إلى معالجة النّفس الإنسانيّة المركّبة من طبيعتيْن مختلفتين: الخير والشر وما ينجم عنهما من خوف ورجاء؛ الخوف من العقاب والخسران، والرّجاء في الثّواب والنّجاح.

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 342 (رقم الحديث 3364).

[2] رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية، ص 784.

ثنائيّتان متقابلتان ومتجاورتان، "الخوف والرّجاء قوّتان مختلطتان في أعماق الكائن البشري، بحيث يوجّهان اتّجاهه في الحياة ويحدّدان أهدافه وسلوكه كما يحدّدان أيضا أفكاره ومشاعره؛ إذ إنّه سيختار منهج حياته منطلقا من ذلك خوفه ورجائه"[1].

ففي السّلم الحجاجي الأوّل نلمح ثلاث حجج مرتّبة ترتيبا تصاعديّا، أقواها قوله (تشكو إليه) والتي أدّت إلى نتيجة مفادها (طلاق المرأة). وفي المقابل نجد في السّلم الثّاني أقوى حجّة فيه (أثنت على الله) والتي أفضت إلى (إمساك المرأة).

إنّ المتأمّل للنّتيجتين يلاحظ تعارضا سافرا بين الطّلاق والإمساك سببه المرأة في كلتا الحالتين، وكأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم يكشف عن السّبب الحقيقي لتفسّخ عقد الزّواج وتفكّك الأسرة؛ عدم صبر المرأة وعدم تحمّلها لمشاكل الحياة الزّوجيّة، الشّكوى الدّائمة وعدم تعلّقها بالله تعالى.

وهو بهذا يحاول إقناع المتلقي بتكوين أسرة متماسكة سواء أكان المخاطَب رجلا أم امرأة، ويدفعه دفعا مباشرا للعمل؛ فإذا كانت امرأة فإنّها ستتحلّى بالقيم الرّوحيّة كالحمد والشّكر، الصّبر، الطاعة... من أجل المحافظة على بيتها والعيش فيه في سعادة هناء وأمّا إذا كان رجلا فإنّه سيختار المرأة الصّالحة التي تعينه على إكمال دينه، لقوله صلى الله عليه وسلم: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدّين تربت يداك"[2].

إنّ القصّة الاجتماعيّة تتدرّج في انتقال سلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قصص تهتم بشؤون الأسرة إلى قصص تغوص أكثر في المجتمع فتسبر أغوار العائلة وتكشف سرّ تكوينها، من ذلك: قصّة «أصحاب الغار» والتي جاء فيها: "**خرج**

---

[1] محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت، دط، 2000، ص 155.

[2] البخاري، الصحيح، ج3، ص 339.

ثلاثة نفر يمشون أصابهم المطر فدخلوا في غار في جبل ... فقال أحدهم: اللهم إنّي كان لي أبوان شيخان كبيران ..."[1].

تتضمّن هذه القصّة سلّما حجاجيّا، يمكن تمثيله كالآتي:

النّتيجة: استجابة الدّعاء وتفريج الكربة والبلاء

الحجّة: طاعة الوالدين

يكشف السّلّم الحجاجي في هذه القصّة عن نتيجة مغرية يطمح إليها كل مسلم (استجابة الدّعاء والنّجاة من البلاء). فالنّبي صلى الله عليه وسلم يحاول إقناع المتلقي بفائدة طاعة الوالدين ويدفعه إلى طاعتهما والإحسان إليهما. لأنّ الإنسان عند تكوينه لأسرته الجديدة قد يضيّع عائلته وهذا يؤدّي إلى هلاك الأمّة. يقول النّبي صلى الله عليه وسلم: "رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف. قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة"[2].

لينتقل النّبي صلى الله عليه وسلم فيما بعد إلى المجتمع بجميع أطيافه؛ الضّعيف والقوي، الصّالح والفاسد ... في محاولة منه "إلى تنظيم الحياة الاجتماعيّة ونسج العلاقات الاجتماعيّة وتحقيق الوضع الاجتماعي المثالي"[3]. ومن أمثلة ذلك:

قصّة «المرأة والرجل» المدرجة في قصّة «أصحاب الغار» والتي جاء فيها: "...**وقال الآخر: اللهم إن كنْتَ تعلم أنّي كنتُ أحبّ امرأة من بنات عمّي كأشدّ ما يحبّ الرّجل النّساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار...**"[4].

يمكن إدراج السلّم الحجاجي لهذه القصّة كما يلي:

---

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب البيوع، ص 41 (رقم الحديث 2215).

[2] مسلم، الصحيح، ج2، ص 513.

[3] معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص 133.

[4] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب البيوع، ص 41 (رقم الحديث 2215).

النّتيجة: استجابة الدّعاء وتفريج البلاء

الحجّة: عدم استغلال المرأة

يكشف هذا السّلّم الحجاجي عن علاقة حجاجيّة بين النّتيجة والحجّة ولتوضيح الأمر أكثر سوف ندرج السّلّم على هذا النّحو:

لا تستغل المرأة المحتاجة ←——— يستجيب الله لدعائك ويفرّج كربك

أراد النّبي صلى الله عليه وسلم إقناع المتلقي بهذه النّتيجة ودفعه لمساعدة المرأة المحتاجة دون مقابل، "فيصطفي بإرادة حرّة واعية وبصورة متكرّرة نشاطا إنسانيّا يرجّحه على ما عداه من أنشطة بديلة متاحة، فيستغرق فيه ويسعد به ويتحمّل فيه ومن أجله أكثر ممّا يتحمّل في غيره دون انتظار لمنفعة ذاتيّة"[1].

لأنّه على العكس من ذلك نجد أنّ استغلال حاجة المرأة وضعفها بمطالبتها بالثّمن مقابل المال، قد يؤدّي إلى انتشار الرّذيلة والانحلال الخلقي في المجتمع، وامتهان البغي لأجل التّكسّب، هذا من جهة ومن جهة أخرى انعدام الثّقة بين أصحاب المال والنّفوذ والسّلطة وعامّة الشّعب واتّساع الهوّة بينهما.

وكأنّ بالنّبي صلى الله عليه وسلم يحاول المحافظة على المجتمع بكل أطيافه ويذود عن أفراده ابتداء بأضعف عنصر فيه؛ المرأة التي قد تكون تعوزها الحاجة إلى المال.

قصة «جريج» التي جاء فيها "... **فأتوه فأنزلوه من صومعته وهدموها وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك. فقال: أين الصّبي؟**

[1] عبد الحكيم أحمد المهدي، تعليم القيم فريضة غائبة في نظم التعليم، ورقة مقدمة لمؤتمر المناهج التربوية والتعليمية في ظل الفلسفة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1990، ص 409.

فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى، فلمّا انصرف أتى الصّبي فطعنه في بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ فقال: فلان الرّاعي..."[1].

في هذه القصّة نلمح سلّم حجاجي تقابلي متولّد عن التّعارض الحجاجي الموجود بين جريج وقومه؛ فالأوّل يتعلّق بالشّخصيّة المحوريّة في هذه القصّة(جريج) والثّاني يرتبط بقومه. وعليه يمكن تمثيل السّلم الحجاجي للقصّة كالآتي:

قوم جريج		**جريج**
ضربوه وهدموا صومعته.... **ن**	↑	تكلم الغلام فبرّأه ..... **ن**
اتّهام جريج.....**ح3**		صلى ودعا الله **ح3**
حملت وولدت.....**ح2**		اتّهموه بالزّنا زورا **ح2**
لأفتنّه **ح3**		جريج رجلا عابدا **ح1**

يورد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجه في هذه القصّة وفق سلّم متعارض ليكشف للمتلقي عن الصّراع الدّائم بين الخير والشّر، بين الحقّ والباطل، وذلك من أجل تبصيره به لاتّباع الحسن واجتناب السّيّئ.

ففي السّلّم الأوّل تتتابع الأقوال وتتصاعد انطلاقا من محاولة البغي فتنة جريج اعتدادا بحسنها وجمالها ولكنّها لم تفلح، فحملت من غيره للإيقاع به، ثمّ ولدت غلاما ونسبته لجريج، لنصل إلى النّتيجة التي لم تكن في الحسبان؛ "جماهير مندفعة في غير رويّة، تصبّ جامّ غضبها على المتّهم الذي هو في حسبانهم في تلك اللحظات منافق مخادع يتزيّا بلباس العابدين الصّالحين"[2].

---

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 367 (رقم الحديث 3436).

[2] محمد حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، دراسة فنية موضوعية، المديرية العامة للمطبوعات، الرياض، السعودية، ط3، 1985، ص 135.

بغيّ استطاعت تأليب النّاس على رجل عابد، فلم تشفع له عبادته عندهم، لحظة غضب صُدّقت فيها بغيّ وكُذّب إنسان صالح ولي.

وفي المقابل نجد السّلم الثاني الذي تتسلسل فيه الأقوال تدريجيّا؛ رجل عابد ومع ذلك يتّهم بالزّنا، ولكنّه لم يهتز ولم يتزلزل لأنّه "كان صادقا في عبادته، واثقا من استقامته، يعلم يقينا أنّه لم يفعل هذا الذي يقولونه، وأنّ دعوى هذه الفاجرة كذب صراح، وقد طلب جريج من هذه الجموع الثّائرة أن يعطوه فرصة ريثما يتوضّأ ويصلّي"[1]؛ "صلاة ودعاء رجاءَ انتصار الفضيلة وصون العرض"[2]. توصل إلى نتيجة مذهلة؛ براءة المتّهم من الجريمة المنسوبة إليه ينطق بها وليد في المهد لتكون حجّة دامغة يفحم بها الله سبحانه وتعالى خصوم عبده المؤمن.

ومن خلال السّلّمين الآنفين الذّكر يتبيّن لنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى إلى إقناع المتلقي بالأفضل دائما، وذلك بدفعه إلى ممارسة السّلوك الأحسن دون إجبار أو قسر؛ فهو يهدف إلى التزام المسلم بعدم التّسرّع في اتّخاذ الأحكام واتّهام النّاس دون دليل قاطع، والابتعاد عن "الحمق الجماعي الذي تندفع به الجماهير خلف النّاعق دون برهان"[3]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يغرس فيه حبّ الله تعالى والتّعلق به دائما وأبدا حتى في أصعب الأوقات وأحلك اللحظات لأنّه هو الوحيد القادر على إجلاء الغمّة وتفريج الكربة وحل الأزمة. فمن خلال هذه القصّة التي يذكر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّمين متعارضين ليترك مخاطَبه "يبني ويهدم من

---

[1] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 276.

[2] كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 469.

[3] المرجع نفسه، ص 469.

خلال نفسه، لينهضها رفيعة المستوى، سليمة المبدأ، خارجة جهدها من ربقة التّقليد والرّعونة"[1].

قصّة «الأم والرضيع» والتي جاء فيها: "... **فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فقال: اللهم لا تجعلني مثله... ثم مرّ بأمَة تُضرب، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقال: اللهم اجعلني مثلها ... إنّ الرّاكب ذو الشّارة جبّار من الجبابرة، وإنّ هذه الأمَة يقولون: زنت ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق، وهي تقول: حسبي الله**"[2].

في هذه القصّة نلمح سلّمين حجاجيّين اثنين أحدهما نقيض الآخر ويمكن تمثيلهما كالآتي:

الأم		**الابن**
أن يكون عظيما..... **ن**	↑	أن يكون صالحا ..... **ن**
لا تجعل ابني مثلها.....**ح1**	~	اجعلني مثلها.....**ح1**
اجعل ابني مثله **ح1**		لا تجعلني مثله.....**ح2**

إذا تأمّلنا هذه القصّة نجد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم استخدم قانون النّفي والذي مفاده "إذا كان قول ما (أ) مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معيّنة، فإنّ نفيه (أي ~ أ) سيكون حجّة لصالح النّتيجة المضادّة"[3]. فالأم قدّمت حججها التي تخدم النّتيجة التي تسعى إليها "أن يكون ابنها في أحسن شارة وأعظم أبّهة، وأن يسلم من الأذى ومن الوقوع في الرّذيلة"[4].

وهو على النّقيض منها قدّم حججا تخدم النّتيجة المعاكسة؛ أن يكون مثل الجارية الزّانية ولا يكون مثل الرّجل العظيم. فهو قد اختار الصّلاح على العظمة بناء على

---

[1] المرجع السابق، ص471.

[2] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص367 (رقم الحديث 3436).

[3] O. Ducrot, Les échelles argumentatives, p27.

[4] كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص471.

التّمييز بين الباطن والظّاهر، فهذا الأخير ليس ميزانا حقيقيّا ولا مقياسا صادقا للحكم، فقد يخفي تحته أسرارا لا يعلمها إلا الله تعالى، كما هو حال هذه القصّة فالرّجل العظيم جبّار وطاغية، والأَمَة المتّهمة بريئة وطاهرة.

سُلَّم وظّفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكشف عن حقيقة غائبة عن الأعين تبدو في تناقض الظاهر والباطن، لينير العقل ويساعد على وضوح الرّؤية بين ما هو خير وشر، وبين ما هو صحيح وخاطئ ليترك المخاطَب يختار ما يناسبه عن قناعة وإدراك ورضى؛ "الاغترار بالظّواهر دون تأمّل للحقائق، التّهوّر في المؤاخذة دون الثّبوت بدليل"[1] كما كانت الأم، أم العكس من ذلك كما كان الابن.

من خلال هذه القصص الاجتماعيّة التي أدرجناها يتّضح لنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسعى إلى إقناع المخاطَب بتفعيل القيم الرّوحيّة في تنظيم الحياة الاجتماعيّة؛ الأسرة (الزّوج والزّوجة والأبناء)، العائلة (الوالدين، الإخوة)، الضّعفاء (المرأة، الولدان)، المجتمع ... وذلك بإعادة صياغة السّلوك الاجتماعي انطلاقا من المبدأ الأخلاقي القائم "على مبدأ الحافزيّة الدّينيّة والرّمزيّة الرّوحيّة والدّلالة الوجدانيّة، فيتمظهر بعد ذلك في صور وأشكال مثاليّة وسويّة ومقبولة اجتماعيّا"[2].

وعليه يمكن تمثيل السّلّم الحجاجي الجزئي للقصّة الاجتماعيّة كالآتي:

النّتيجة: بناء المجتمع الإسلامي المثالي

حجج

- قصص العلاقات الاجتماعية
- قصص العلاقات العائلية
- قصص بناء الأسرة

[1] كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 470.

[2] معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص 148.

يتصاعد سلّم القصص الاجتماعية انطلاقا من الأسرة إلى العائلة ثمّ المجتمع، لأنّ الأسرة هي النّواة الأولى التي يُبنى عليها المجتمع وبصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد ولهذا ركّز النّبي صلى الله عليه وسلم عليها محاولا تغيير أفكار المتلقي ومعتقداته، ومن ثمّة دفعه إلى تغيير وضعيّته وسلوكه ومواقفه في محاولة إلى تحقيق المثل العليا في المجتمع الإنساني من خلال الدّعوة إلى تثبيت الدّعائم الخُلقيّة المستمدةّ من المنهج الرّبّاني المسطّر في القرآن الكريم.

3- السلم الحجاجي في القصص ذات البعد الاقتصادي:

إنّ "الأقوال التي يتكوّن منها استدلال ما مستقلّة، بعضها عن بعض، بحيث أنّ كلّ قول منها يعبّر عن قضيّة ما، أي يصف حالة ما، أو وضعا من أوضاع العالم، باعتباره وضعا واقعيّا أو متخيّلا. ولهذا فإنّ تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسّسا على الأقوال نفسها، ولكنّه مؤسّس على القضايا المتضمّنة فيها، أي على ما تقوله أو تفترضه بشأن العالم[1]. ومن أمثلة ذلك:

قصة «المتصدّق» والتي جاء فيها: "**قال رجل لأتصدّقنّ بصدقة فخرج بصدقة فوضعها في يد سارق ... فوضعها في يد زانية ... فوضعها في يد غنيّ ...**"[2].

تتضمّن هذه القصّة مجموعة من القضايا، ولذلك سوف نمثّل السّلّم الحجاجي لكل قضيّة على حده، وذلك كما هو مبيّن أدناه:

[1] Ducrot , Les échelles argumentatives , p 10 , 11 .

[2] البخاري، الصحيح، ج1، كتاب الزكاة، ص 335 (رقم الحديث 1421).

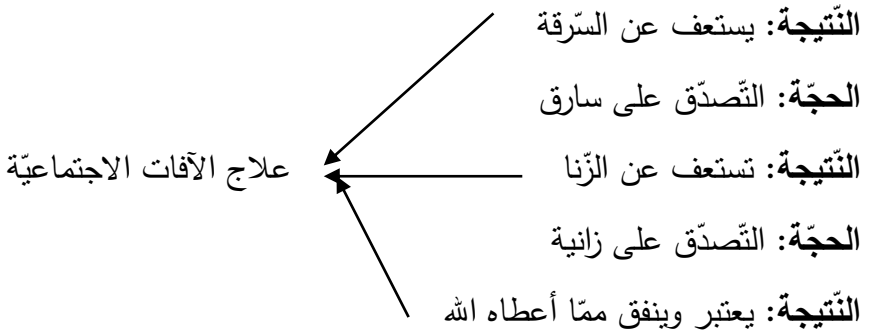

ويمكننا تمثيل السّلّم الحجاجي الجامع لهذه القضايا الثّلاثة كما يأتي:

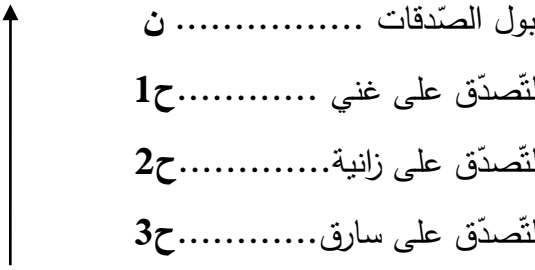

في هذا السّلّم الحجاجي تتساوق الحجج لخدمة نتيجة مصرّح بها تتمثّل في قبول الله عزّ وجلّ لصّدقة هذا الرّجل مع أنّها قد تكون وُضعت في غير موضعها، ونتيجة مضمرة مؤدّاها علاج الآفات الاجتماعيّة تظهر من خلال النّتائج الجزئيّة المترتّبة عن القضايا التي تناولتها القصّة – تعفّف السّارق والزّانية، إنفاق الغني– وقد أوردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الشّكل لإقناع المتلقي ودفعه للقيام به على الفور، لأنّها "تشكّل حصانة قيميّة وسلوكيّة ضدّ الانحراف... تتمظهر في ممارسات اجتماعيّة تجعل من أصحابها نماذج يحتذى بها في السّلوك السّوي، لأنّها تعطي انطباعا جيّدا

عن ما يجب أن يكون عليه الفرد وهو يتفاعل مع جميع عناصر البنية المجتمعيّة التي يوجد بها"[1].

قصّة «جرّة الذّهب» التي يقول فيها ﷺ: "**اشترى رجل من رجل عقارا له، فوجد الرّجل الذي اشترى العقار في عقاره جرّة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك منّي، إنّما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذّهب! وقال الذي له الأرض: إنّما ابتعتك الأرض وما فيها...**"[2].

يمكن تمثيل السّلّم الحجاجي للقصّة كما يأتي:

خذ ذهبك عنّي ..... **ن** ↑ لن آخذ الذّهب ..... **ن**

اشتريت الأرض ولم أبتع الذّهب.....**ح** ↑ ~ ابتعتك الأرض وما فيها.....**ح**

في هذه القصّة نجد سلّمين حجاجيّين أحدهما هو نفي ونقيض للآخر؛ فالأوّل يحتجّ لعدم أخذ الذّهب بأنّه لم يبتعه، والثّاني أيضا يحتج لعدم أخذه له بأنّه باع الأرض بما فيها، ويمكن توضيح ذلك أكثر من خلال الرّسم الآتي:

لم أبتع الذّهب ⟵ إذن لن آخذه

بعتك الأرض ⟵ إذن خذ الذّهب الذي فيها

تبدو النّتيجة واحدة فكل منهما لا يريد الذّهب، وهذا أمر عجيب "فالمعهود بين النّاس أن يختصم مثل هذين للحصول على الذّهب، فيطالب كل واحد منهما به ليحوزه دون الآخر مدّعيا أن صاحبه؛ هذا لأنّه اشترى الأرض بما فيها، والآخر لأنّه باعه الأرض ولم يبتعه الذّهب"[3]. وذلك لما جبلت عليه النّفس البشريّة من حب المال لقوله

---

[1] معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص 133.

[2] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 375 (رقم الحديث 3472).

[3] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 268.

تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

نتيجة تكشف عن حقيقة يسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إقناع المتلقي بها ودفعه لتمثّلها في حياته؛ الأمانة والورع، الدّقّة في تحرّي الحلال وتجنّب الحرام، القناعة والرّضى والابتعاد عن الحرص والطّمع. قيم أخلاقيّة عالية تعكس البناء الرّوحي للرّجلين وتبوّئهما أعلى المراتب في السّلّم الإيماني، تجسّدت حقيقة فعليّة في الحياة الاجتماعيّة بعيدة كل البعد "عن ارتدادات المشاكل المطروحة على مدار الحياة اليوميّة للفرد والتي تجعل البعض يبرّر الانحراف ويعطيه مسوّغات وهميّة تحت شعارات الظّروف المادّيّة الاجتماعيّة القاهرة "[2].

نتيجة أولى أدّت إلى نتيجة ثانية تمثّلت في إنفاق الذّهب الذي عثر عليه على تزويج الغلام والجارية، وذلك لربط "هاتين الأسرتين برباط المصاهرة، فالمصاهرة بين الأخيار تقوّي رباط الإيمان وتمتّن العلاقة بين الصّالحين، والزّوجان الصّالحان يكوّنان أسرة صالحة ويرجى أن ينجبا ذرّيّة صالحة"[3].

قصة «المقترض ألف دينار» والتي جاء فيها: "**سأل رجل من بني إسرائيل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتني بالشّهداء أشهدهم. قال: كفى بالله شهيدا. قال: فائتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلا. قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمّى ...**"[4].

يمكن تمثيل السّلّم الحجاجي للقصّة كما هو مبيّن أدناه:

---

[1] سورة آل عمران، الآية 14.

[2] معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص148.

[3] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص269.

[4] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب الكفالة، ص62 (رقم الحديث 2291).

إنّ الله تعالى أدّى عنك الذي بعثت في الخشبة..... **ن2**

أستودعكها **ح1**

رضي بك وكيلا.....**ح2**

رضي بك شهيدا.....**ح3**

أعطاه المال **ن1**

كفى بالله وكيلا **ح1**

كفى بالله شهيدا **ح2**

تتساند الحجج وتتصاعد في السّلّم الحجاجي خدمة للنّتيجة الأولى: إقراض المستلِف المال، ثمّ تتساوق من جديد خدمة للنّتيجة الثّانية: تكفّل المولى عزّ وجل بإعادة المال إلى صاحبه. ثمّ تتضافر النّتيجتان لتؤدّيان إلى نتيجة مضمرة هي بيت القصيد في هذه القصّة؛ "نظر الحقّ جلّ جلاله إلى من رَضِيَه، عبدي كفيتك وأيّدتك وحفظت ما استرعيتني!"[1]. حفظ للدّائن والمدين مالهما؛ فأمّا الأوّل فأدى عنه أمانته، وأمّا الثّاني أرجع له ماله.

نتائج تدفع المتلقي إلى تبنّي هذا السّلوك وذلك بتحويل القيم الرّوحيّة التي يؤمن بها إلى أفعال في الواقع، فالرّضا بالله والثّقة في كفايته أخلاق لا معنى لها "إذا لم تتحوّل إلى سلوك تفاعلي يومي يبرز مميّزاته وقوّته في التّعامل مع النّاس والتّأثير الإيجابي في الوسط الاجتماعي الذي يوجد فيه "[2].

فاتّصاف المسلم بالأمانة والوفاء في حالة إقراضه المال أو اقتراضه له ينشر ثقافة القرض بين النّاس؛ فيستعين المسلم بأخيه لقضاء حوائجه فيستدين المال، ويساعده

[1] كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 481.

[2] معتوق جمال وأوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص 135.

أخوه على حل مشاكله المادّيّة فيدينه المال ثقة في وفائه وأمانته. وهذا ما يحقّق التّعاون في المجتمع ويحل الكثير من المشاكل الماليّة التي تتخبّط فيها الأسر.

وهذه مرحلة متقدّمة من مراحل ترقية النّفس الإنسانيّة، وذلك من خلال تدريبها على صيغ وآليّات عمليّة تطبيقيّة في الواقع الاجتماعي حتى تتمكّن من تنمية كل الجوانب لأنّه "من المستحيل عقلا وفعلا تصوّر الاعتماد على تنمية ركن دون آخر، أو تنشئة جانب وإهمال آخر، بل لابدّ من عمليّة تنمية كلّيّة شاملة"[1]. وهذا هو مسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إقناع المسلم بالتّغيير الإيجابي المؤسّس على القيم الخلقيّة، ودفعه مباشرة للعمل في مجتمعه.

قصّة «الأجير» المدرجة ضمن قصّة «أصحاب الغار» والتي جاء فيها: "...**وقال الآخر: اللهمّ إن كنت تعلم أنّي استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثمّ جاء وقال: يا عبد الله أعطني حقّي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنّها لك، فقال: أتستهزئ بي؟ فقلت: ما أستهزئ ولكنّها لك، اللهم إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنّا، فكشف عنهم**"[2]. نمثّل السّلّم الحجاجي للقصّة كالآتي:

استجابة الدّعاء وتفريج البلاء ..... **ن**

انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنّها لك **ح1**

نمّيت له أجره **ح2**

أعطيته أجره وأبى ذاك أن يأخذ..... **ح3**

[1] علي سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، دط، دت، ص 68.

[2] البخاري، صحيح البخاري، ج2، كتاب البيوع، ص 41 (رقم الحديث 98).

يكشف هذا السّلّم الحجاجي عن نتيجة محبّبة إلى القلب: استجابة الدّعاء وتفريج البلاء ويبدو لنا أنّ هذه النّتيجة هي التي يهدف النّبي صلى الله عليه وسلم إلى إقناع المخاطَب بها ودفعه للعمل من أجلها لأنّها مغرية، فمن منّا لا يريد استجابة الدّعاء؟ ومن منّا لا يريد تفريج الكربة والبلاء؟

ولذلك يرفق النّتيجة بالأدلّة والحجج التي تخدمها وتؤدّي إليها؛ إعطاء الأجير حقّه، عدم أخذه عن غير وجه حقّ حتى وإن امتنع عن أخذه فقد يكون ذلك لظروف طارئة ألمّت به، تنمية مال الأجير إن أمكن ذلك. فالأجير ما هو إلا فرد من المجتمع، وهو يعمل لأجل الحصول على المال لتسيير شؤون حياته، فإذا غُصِب حقّه فإنّه لا محالة سيقع في الانحراف؛ السّرقة والنّهب أو حتّى قتل صاحب المال. ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة؛ رجل أعطى بي ثمّ غدر، ورجل باع حرّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره"[1].

فالنّبي صلى الله عليه وسلم يسعى إلى إقناع المسلم بالسّمو نحو الكمال الخُلقي الذي ارتضته الشّريعة له، لأنّه هو الذي "يجعل الأفراد ينسحبون من الحياة بتفاصيلها المادّيّة الصّرفة المفضية إلى الفراغ الرّوحي والصّراع والانكفاء على المكاسب المادّيّة والسّعي وراء تحقيق الرّغبات والانقياد وراء الشّهوات والنّزوات ... وفي المقابل يدعو إلى الانخراط في الحياة بمعانيها الاجتماعيّة السّامية القائمة على احترام القيم والتّماثل الفردي والجماعي مع الثّقافة الاجتماعيّة المهيمنة، كل هذا يجعل البناء الاجتماعي يستمرّ في حالة من التّوازن والاستقرار بعيدا عن المحدّدات السّلوكيّة السّلبيّة

[1] البخاري، الصحيح، ج2، ص 56.

الأخرى"[1]. وفي الأخير يمكن إدراج السّلّم الجزئي للقصّة ذات البعد الاقتصادي كما يأتي:

النّتيجة: بناء نظام اقتصادي إسلامي يحقّق العدالة، ويساهم في الرّقي والازدهار.

قصص الصّدقة

قصص إعطاء الحقوق لأصحابها

قصص المعاملات المالية

من خلال هذا السّلّم الحجاجي للقصّة ذات البعد الاقتصادي نستشف النّظام المالي الإسلامي الذي يسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إقناع مخاطَبيه به لأنّه هو القادر على تسيير اقتصاد المجتمعات والدّول على نحو أفضل من النّظم الاقتصاديّة الوضعيّة التي سبّبت أزمات ماليّة لا نهاية لها، والتي لا تزال تعاني من فشلها البشريّة إلى اليوم. كيف لا وهو النّظام الذي ضمّنه تعالى كتابه العزيز وتكفّل بشرحه وتوضيحه نبيّه الكريم الذي لا ينطق عن الهوى لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾[2]، لأجل ضمان حياة سعيدة لكل النّاس.

4 – السلم الحجاجي في القصص ذات البعد السّياسي:

إنّ "تأثير القول الحجاجي غالبا ما يدفع إلى رد فعل معيّن، قد يكون عملا أو كفّا عن عمل أو عدولا عنه أو تحويلا لمساره ..."[3]. وهذا ما لامسناه في قصص الحديث النّبوي؛ إذ كل قصّة تتسلسل أقوالها للدّفع لإنجاز فعل محمود وللإحجام عن فعل مذموم في نفس الوقت.

---

[1] معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص151، 152.

[2] سورة النجم، الآية 03.

[3] أوستين، نظرية أفعال الكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا للشرق، المغرب، دط، 1990، ص 134.

فالنّبي صلى الله عليه وسلم من خلال قصصه كان يسعى إلى التّغيير عبر عمليّتي: الهدم والبناء، التّفريغ والملء؛ "تفريغ الذّهن من كل الاقتناعات السّابقة وملئه بما يراد من حجج وإثباتات"[1]. التّخلّي والتّحلّي؛ التّخلّي عن الرّذائل والتّحلّي بالفضائل فكل خصلة محمودة لها بالمقابل خصلة مذمومة يجب أن تُجتثّ وتحل محلّها الأخرى. وهنا يظهر دور الأقوال في الإقناع والتّأثير.

فاللغة في "الخطاب الحجاجي تقوم بدور جوهري وفاعل في تحقيق التّأثير والاستمالة"[2]، فمن خلال اللغة نؤثّر في الآخر ومن ثمّة نحقّق التّغيير الذي يشمل جميع مجالات الحياة لأنّ الإسلام منهج متكامل الجوانب، شامل النّظرة، فيه تنظيم علاقة الفرد بربّه وبنفسه وبأسرته وبمجتمعه وبحاكمه ...

ومن أمثلة القصص التي تنظّم علاقة المسلم بحاكمه:

قصة «الغلام» والتي جاء فيها: "**كان مَلك فيمَن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلمَّا كبِر، قال للملك: إني قد كبِرْتُ، فابْعَث إليّ غلامًا أُعَلِّمه السِّحر، فبَعث إليه غلامًا يُعلِّمه، فكان في طريقه إذا سلَك راهبٌ، فقعَد إليه وسَمِع كلامه، فأعْجَبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب، وقعَد إليه، فإذا أتى الساحر ضرَبه، فشكى ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خَشِيتَ الساحر، فقل: حبَسَني أهلي، وإذا خَشِيت أهلك، فقل: حَبَسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابَّة عظيمة قد حَبَست الناس، فقال: اليوم أعلم: الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخَذ حجرًا، فقال :اللهم إن كان أمرُ**

[1] الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 459.

[2] جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2000، ص 118.

الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر، فاقْتُل هذه الدابَّةَ؛ حتى يَمضي الناس، فرماها فقتَلها، ومضى الناس ..."[1].

تتصاعد الأقوال وتتتابع في هذه القصّة خدمة لنتيجة واحدة هي تغيير المعتقد من الإيمان بالملك الطاغية إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، وتغيير المعتقد من أصعب الأمور لهذا كان فيه نوع من التّدرّج لامسناه في أجزاء القصّة. وعليه يمكن تمثيل السّلم الحجاجي لكل جزء على حده كما هو مبيّن أدناه:

رماها فقتلها ..... **ن**

اللهم إن كان أمر الرّاهب أحبّ إليك من أمر السّاحر فاقتل هذه الدّابّة **ح1**

إيمان الرّاهب **ح2**

سحر السّاحر **ح3**

تتسلسل الأقوال وتتدرّج في الجزء الأوّل من القصّة وصولا إلى أقوى حجّة في هذا السّلّم والتي تتمثّل في قول الغلام: (اللهم إن كان أمر الرّاهب أحبّ إليك من أمر السّاحر فاقتل هذه الدّابّة). فالغلام يبحث عن سبيل لإقناع نفسه بالطّريق الصّحيح؛ الإيمان أو الكفر، كلام الرّاهب أو فعل السّاحر، فهو في شكّ مرير ويرغب في حسم الأمر بدليل قاطع. فجاءت النّتيجة (موت الدّابّة) لتقنعه بصدق الرّاهب وصحّة ما يدعو إليه وتكذيب السّاحر وتفنيده، ولتدفعه إلى اتّخاذ سلوك معيّن بناء على ذلك.

آمن جليس الملك فشفاه الله..... **ن**

إن أنت آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك..... ح1

لا أشفي أحدا إنّما يشفي الله **ح2**

[1] مسلم، الصحيح، ج2، كتاب الزهد والرقائق، ص 711 (رقم الحديث 3005).

إن اقتناع الغلام بفكر الرّاهب جعله يؤمن بالله تعالى ويغيّر سلوكه من خدمة الملك إلى الدّعوة إلى الواحد الأحد بطريقة إيجابيّة بعيدة عن العنف والإكراه والقسر، "شخصية فعّالة تتّضح فعّاليّتها عبر الأحداث التي تخوض غمارها، وعلاقتها بالشّخصيّات داخل القصّة، أو من خلال المواقف التي تمرّ بها ... وثباتها على المواقف الإيجابيّة وصدق عواطفها الإنسانيّة"[1].

بدأ الغلام بعلاج النّاس ومساعدتهم على الشّفاء، فقد اتّخذ المعالجة طريقا لنشر دعوته ونشر الإيمان، وقد أجرى الله على يده شفاء المرضى وإبراء الأكمه والأبرص، وكان يخبر النّاس أنّ الشّافي هو الله[2]، وأنّ من آمن بالله فإنّه يشفيه فكانت هذه حجّته التي أقنع بها النّاس وحتى جليس الملك آمن بالله حتى يدعو له الغلام ربّه فيشفيه، فكانت النّتيجة مبهرة: ردّ البصر لجليس الملك. وكانت هذه النّتيجة بداية لسلّم جديد.

تتصاعد الأقوال في السلّم بداية من اكتشاف الملك لإيمان جليسه بالله الواحد الأحد، وخوفه من "فتنة تهدّد ملكه وسلطانه، فقد نصّب ذلك الطّاغية نفسه إلها يعبد من دون الله، وزعم أنّه ربّ النّاس، وكان السّاحر وأعوانه الفجرة يعملون ليل نهار على إقرار هذا المعتقد في قلوب أهل تلك المملكة"[3]. ولهذا أراد وأد هذه الفتنة في مهدها وقتل أصحابها قبل أن يستشري أمرهم. فقتل جليسه والرّاهب ولكنّه لم يتمكّن من قتل الغلام للتّأييد الإلهي للمخلصين الصّادقين.

ويمكن تمثيل السّلالم الحجاجيّة لهذا الجزء كما يلي:

اللهمّ اكفنيهم بما شئت(ح) ←———— رجف بهم الجبل فسقطوا (ن)

---

[1] حسن سالم هندي، بنية الشخصية المؤمنة في القصة القرآنية والرواية الإنسانية، دار نينوى للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، دط، 2012، ص 13.

[2] ينظر: الأشقر صحيح القصص النبوي، ص 310.

[3] المرجع نفسه، ص 310.

اللهمّ اكفنيهم بما شئت(ح) ⟵ انكفأت بهم السّفينة فغرقوا (ن)

موت الغلام وإيمان الناس برب الغلام ..... **ن**

تقل: باسم الله رب الغلام ثم ترمني **ح6**

تضع السهم في كبد القوس..... **ح5**

تأخذ سهما من كنانتي..... **ح4**

تصلبني على جذع **ح3**

تجمع الناس في صعيد واحد..... **ح2**

لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به..... **ح1**

حجج تتساند وتتصاعد متّجهة في اتّجاه واحد، أقواها قول الغلام للملك: (قل: باسم الله ربّ الغلام ثمّ ترمني) اعتراف للملك أمام الملأ بألوهيّة الواحد الأحد وكذب دعواه. وهذا هو هدف الغلام؛ كشف الملك ومعرفة النّاس ذلك، فهذا الملك الذي يدّعي الرّبوبيّة ضعيف لا يقدر على شيء حتى على قتل غلام، وهو في الوقت ذاته يستعين بربّ الغلام على قتله، فأيّ إله هذا؟!

حجّة قويّة أدّت إلى نتيجة غير متوقّعة؛ موت الغلام وإيمان النّاس في نفس الوقت نتيجة لم تكن في حسبان الملك، ولم يكن يدري أنّ لحظة قتل الغلام هي لحظة تأليب ملكه وسلطانه، لحظات "تصير فيها النّفوس قناديل تضيء معالم الطّريق وتهدي إليه"[1].

[1] حسن سالم هندي، بنية الشخصية المؤمنة في القصة القرآنية، ص 16.

غلام غيّر المعتقد والدّين، فبفضله عرف قومه "أنّ الحقّ أقوى من أن يقهر أو أن يتقهقر فانتفضت قلوبهم لهذا الحقّ، وارتعش وجدانهم. فإنّها صولة الحقّ في الضّمائر ونور الإيمان في المشاعر، والقلوب المهيّأة لتلقي الحق والنور واليقين"[1].

إنّ حكي رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه القصّة بجميع مراحلها لم يكن اعتباطا ولا حشوا، ولا تسلية ولا إمتاعا والسّلالم الحجاجيّة تكشف ذلك، فالنّبي صلى الله عليه وسلم يريد إقناعنا بالنّتائج التي تشير إليها هذه السّلالم ودفعنا للعمل بها:

أمّا أوّلا: فالقيام في وجه السّلطة أو الثّورة ضدّها يجب أن يمسّ الدّين والمعتقد هذا من جانب ومن جانب آخر أن يستند إلى دليل مقنع حتى يؤمن صاحب الفكرة بما هو مقدم عليه كما حدث مع الغلام وقتل الدّابّة. ولا تكون الفتنة لأجل غرض دنيوي من مال أو جاه أو سلطة.

أمّا ثانيا: الفعّاليّة التي تستلزم مساعدة النّاس وخدمتها دون مقابل مادّي، ولكن للإيمان بفكرتك لا غير وعدم الزّجّ بهم في صراع لا طاقة لهم على تحمّله.

أمّا ثالثا: التّضحية بالنّفس لأجل الله تعالى "لأنّ الدّنيا عرض زائل، والحياة الحقّة هي حياة الخالدين... والصّبر في طريق الحقّ وإن يكن الابتلاء احتراق الأجسام في جحيم الظّالمين"[2]. وليس اقتتال النّاس لأجل صاحب الفكرة وهو حيّ يرزق، فهذا هراء ولعب بمصائر النّاس.

فالنّبي صلى الله عليه وسلم سدّ منافذ الشّك باليقين حتى لا يترك المجال فسيحا للمتلقي يعبث فيه كيف يشاء، فهذه القصّة لا تدلّ على اقتتال المسلمين بعضهم ببعض كما يفعل بعض الدّعاة الذين يستشهدون بها للتّدليل على نصرة الله تعالى

---

[1] المرجع السابق، ص 50.

[2] كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 466.

للثّائرين ضدّ ظلم الحكّام، فهذا حَيْف فالغلام ثار ضدّ الكفر وشتّان بين الأمرين لمن كان له نظر أو عقل سديد.

قصّة «سارة والملك الجبّار» والتي جاء فيها: "**هاجَرَ إبراهيم عليه السّلام بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبّار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النّساء فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي ثمّ رجع إليها فقال: لا تكذّبي حديثي فإنّي أخبرتهم أنّك أختي، والله إنّ على الأرض مؤمن غيري وغيرك، فأرسل بها إليه فقام إليها.**

فقامت تَوَضَّأُ وتصلّي فقالت: اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فلا تسلّط عليّ الكافر، فغطّ حتى ركض برجله*. قال الأعرج: قال أبو سلمة ابن عبد الرّحمن: إنّ أبا هريرة قال: قالت: اللهمّ إن يمت يقال هي قتلته فأُرْسِل. ثمّ قام فقامت تَوَضَّأُ وتصلّي وتقول: اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فلا تسلّط عليّ الكافر، فغطّ حتى ركض برجله.

قال عبد الرّحمن: قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: قالت: اللهمّ إن يمت يقال هي قتلته فأُرْسِل في الثانية أو في الثّالثة، فقال: والله ما أرسلتم إليّ إلا شيطانا ارجعوها إلى إبراهيم وأعطوها آجر*فرجعت إلى إبراهيم عليه السّلام فقال: أَشَعَرْتَ أنّ الله كبت الكافر وأَخْدَمَ وليدة"[1].

تضمّ هذه القصّة سلّمين حجاجيّين وسوف نمثّل كل واحد منهما على حده:

---

* غط حتى ركض برجله: أي خنق خنقا، لشدته كان يضرب برجله الأرض. ينظر: الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص56.

** آجر: الاسم السرياني لهاجر. ينظر: المرجع نفسه، ص 56.

[1] البخاري، صحيح البخاري، ج2، كتاب البيوع، ص 42 (رقم الحديث 2217).

نجاة إبراهيم من شر الملك..... **ن**

سارة أختي..... **ح1**

الملك جبّار وطاغية **ح2**

السّلّم الأوّل يرتبط بإبراهيم عليه السّلام، وأمّا الثّاني فهو يتعلّق بزوجته سارة.

إرجاع سارة لإبراهيم ..... **ن**

اللهم ... فلا تسلّط عليّ الكافر..... **ح**

نلمح في هذه القصّة ترتيبا بديعا للحجج، فالتّرتيب ينهض بدور جليل في الإقناع، إذ إنّ ترتيب الحجج يكسبها طاقة حجاجيّة إضافيّة إذا ما وضعت في الموضع المناسب، "ولا يكفي أن تصاغ الحجّة صياغة جيّدة، بل تتدخّل كل الأمور المتعلّقة بالتّرتيب وكل خلل في التّرتيب يسلب الحجّة قوّتها مهما كانت بالغة"[1].

فنبي الله إبراهيم قدّم حجّة قويّة مؤدّاها أن سارة أخته حتى ينجو من بطش الملك، لأنّه جبّار "إن أراد امرأة بطش بزوجها إن كانت متزوّجة، ولا يتعرّض لأقاربها بسوء إن كانت عزباء... وقد أرسل إبراهيم بزوجته إلى ذلك الطّاغية كما طلب منه ثقة منه برعاية الله وحفظه، بعد أن أوصاها ألّا تخبر الملك بصلتها الحقيقيّة به، وقد بيّن لها إبراهيم وجهة نظره في ذلك، فهي أخته في الإسلام إذ لم يكن على وجه الأرض مؤمن غيرهما"[2].

تساند حجج السّلّم الثّاني السّلّم الأوّل وتسير معها في اتّجاه حجاجي واحد يتمثّل في البحث عن الخلاص من ظلم الملك والنّجاة من شرّه. فإذا كان إبراهيم نجا بدعوى أنّ سارة أخته فإنّ هذه الأخيرة لن ينجيها إلا الله سبحانه وتعالى، فدعت ربّها وناشدته

[1] أحمد قادم، رسالة ابن غرسية مقاربة بلاغية حجاجية، كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص 1289.

[2] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 56، 57.

أن يردّ عنها كيد الملك وشرّه، فما كاد يقوم إليها حتى أخذ أخذا شديدا إلى درجة خوفها على نفسها إن هو مات أن يتّهموها بقتله (اللهم إن يمت يقال هي قتلته) فتدعو له ربّها بعد أن يعدها بعدم التّعرّض لها[1].

ولكنّه يكرّر الفعل مرّة ثانية وثالثة فتكرّر الدّعاء أيضا فتحصل نفس النّتيجة في كل مرّة فهو وإن لم يقتنع بتركها للوهلة الأولى التي شدّ فيها، إلا أنّ تكرار النّتيجة كان دليلا قاطعا جعل الملك يقتنع بأنّها شيطان قادرة على القيام بأعمال وإبطالها في نفس الوقت ما جعله يخاف منها ويتركها. ورجعت سارة إلى إبراهيم عليه السّلام سليمة معافاة لم يمسّها مكروه.

يبيّن السّلّم الحجاجي للقصّة مسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم في إقناع المخاطَب بمهادنة الملوك وأصحاب السّلطة وخاصّة الظالمين منهم والجبابرة الذين لا طاقة للعباد عليهم، ودفعهم إلى الاستعانة بالله تعالى بالدّعاء وبالتّضرّع والابتهال لدحر كيدهم والنّجاة من شرّهم كما فعل إبراهيم –عليه السّلام– وزوجته. "والذين يأبون الانحناء للعاصفة لا يفقهون دين الله، فالإنسان لا يستطيع دائما أن يمضي في طريقه على الوجه الأكمل، فالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده والسّائرون على دربهم كانوا يهادنون في الحرب ويصالحون، ويرضون أحيانا باتّفاقات فيها ظلم واضح، وما لا طاقة للعباد به إلا اللّجوء فيه إلى الله"[2].

قصّة «سفينة الحياة» التي جاء فيها: "**مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبّون على الذين في**

[1] ينظر: الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 57.

[2] المرجع نفسه، ص 62.

أعلاها فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذونا، فقال الذين في أسفلها: فإنّا ننقبها من أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعا، وإن تركوهم غرقوا جميعا"[1].

يمكن تمثيل السّلم الحجاجي للقصة كما يلي:

تغرق السّفينة ..... **ن**	تنجو السّفينة ..... **ن**
ينقبون السّفينة..... **ح1**	لا نترككم تنقبون السّفينة **ح1**
ننقب السّفينة من أسفلها....**ح2**	لا ندعكم تصعدون **ح2**
يصعدون فيستقون الماء....**ح3**	الذين أسفل السّفينة يؤذونهم..... **ح3**
قوم أسفل السّفينة.....**ح4**	قوم أعلى السّفينة **ح4**

في هذه القصّة نلمح سلّمين حجاجيّين أحدهما نفي للآخر ونقيضه لأنّ سفينة الحياة أو بالأحرى الدّولة يتقاسم أعباؤها مهما تغيّر الزّمان وتبدّل المكان نوعين من البشر؛ المصلح والمفسد.

وهذه سنّة الله في خلقه "فأهل السّفينة هم المجتمعات البشريّة التي تعمر سفينة الحياة وانقسام أهل السّفينة بالاقتراع إلى قسمين هو جريان الأقدار بوضع كل إنسان في المكان الملائم في الدّنيا. والذين في أعلى السّفينة هم القائمون بأمر الله حيث الهواء والنّور، والقدرة على إدراك ما يحيط بهم، وفي أسفل السّفينة الواقعون في حدود الله حيث ظلام الجهل، وانطماس الفطرة"[2].

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، ج2، كتاب الشركة، ص 116 (رقم الحديث 2493).

[2] فائزة سالم صالح، التشبيه التمثيلي في الصحيحين، رسالة ماجستير، إشراف: محمد محمد أبو موسى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1985/1986، ص 337.

فالله سبحانه وتعالى "قد خلق النّاس طبقات، وهذا التّقسيم لا يقوم على أساس الغنى والوجاهة والسّيادة، إنّما على أساس من الإيمان والتّقوى، فأهل الإيمان هم في العلو والرّفعة وهم القوّة الحقيقيّة"[1] في أيّ دولة.

ذلك أنّ الإيمان قوّة روحيّة "تقود الإنسان إلى حيث يحقّق اختياريه بين التّقوى والفجور فيحقّق بإلهامها النّجاح أو الخيبة ويحقّق السّلوك السّوي أو الانحرافي، وبهذا المعنى يصبح الإيمان ترجمة حقيقيّة للنّفس الإنسانيّة في شكل تفاعلات اجتماعيّة وأفعال رمزيّة تحمل دلالة قوّة الإيمان وتجذّره في نفس صاحبه"[2].

ولكن عندما تتعارض المصالح تظهر الطّبائع وتتكشف السّرائر ولهذا قد تقف شخصيّتان أو أكثر موقفين متناقضين بإزاء حدث واحد، بمعنى آخر عندما تمثّل هاتان الشّخصيّتان أيديولوجيّتين مختلفتين تمثّل إحدى هذه الشّخصيّات الموقف الإيجابي تجاه الأحداث والأخرى الموقف النّقيض[3]، فإنّ الأمر يترك للخيار؛ للنّظر والتّأمّل دون إلزام بموقف محدّد.

وهذا ما فعله صلى الله عليه وسلم في هذه القصّة حيث أورد أقواله في تسلسل وبترتيب محدّد من الأدنى إلى الأعلى، وترتيب الأقوال بهذا النّمط "عادة ما يكون مصحوبا بقصد حجاجي بمقتضى أنّها تقيم علاقة تفاضليّة مع طبقات أخرى من القيم التي توجد في رتب أخرى أدنى أو أعلى من نفس السّلّم"[4].

فنقب السّفينة وخرقها في هذه القصّة أقوى الحجج ولهذا فهي تحتل أعلى الدّرجات في السّلّم الحجاجي وتؤدّي إلى نتيجة مصرّح بها: غرق السّفينة وهلاك أهلها. وفي

---

[1] المرجع السابق، ص 267.

[2] معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص 135.

[3] حسن سالم هندي، بنية الشخصية المؤمنة في القصة القرآنية، ص 29.

[4] Ducrot, Les échelles argumentatives, p 22.

المقابل نجد نقيض هذه الحجّة من أقوى الحجج أيضا في إثبات نقيض النّتيجة، فالحجّة النّقيض تتمثّل في منع نقب السّفينة، والنّتيجة المحصّل عليها مناقضة للنّتيجة الأولى، ومؤدّاها نجاة السّفينة وأهلها من الغرق.

من خلال هذا السّلّم الحجاجي نلمح مسعى النّبي صلى الله عليه وسلم إلى إقناع المتلقّي بضرورة تحمّل المسؤوليّة والمحافظة على الدّولة والمجتمع، ودفعه إلى اليقظة والتّنبّه لكل صغيرة وكبيرة حتى لا يحدث أيّ إخلال بأمن واستقرار الوطن والأمّة.

فالخطر محدق من كل اتّجاه، "يحتاج من المؤمن إلى مزيد من التّنبيه، وإلى مزيد من التّكافل والتّضامن في درء الخطر الذي يصيب المجموع، وإن قلّ هذا الخطر لأنّ المجتمع قد يغرق كله بسبب تصرّف طائش من أحمق واحد، وعلى المجتمع إذن أن يكون متنبّها حذرا آخذا على أيدي المفسدين، وكل شيء في حياة الجماعة يهم كل فرد فيها لأنّه متّصل بحياته وإن كان اتّصالا غير مباشر... المسؤوليّة واحدة على أفراد المجتمع جميعا، وأنّ الفساد في أيّ قطاع وفي أي ميدان ممّا يجب أن يقف الكل في وجهه لأنّهم جميعا في سفينة واحدة"[1].

وفي الأخير يمكن القول إن قصص الحديث النبوي الشريف تمثّل "واقعا عمليّا في جميع شؤون الحياة، ففيه الهدى والرّشاد للقادة والمقودين والحكّام والمحكومين والمرشدين والموجّهين والمجاهدين، وفيه الأسوة الحسنة في جميع المجالات: في السّياسة والحكم والاقتصاد والمال والاجتماع والعلاقات الإنسانيّة والأخلاق الفاضلة والعلاقات الدّوليّة"[2].

[1] فائزة سالم صالح، التشبيه التمثيلي في الصحيحين، ص 336.

[2] صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، دار قصر البخاري، الجزائر، ص 07.

وهو ما يدلّ على "تلك الرّؤية الوحدويّة الشّاملة للواقع والأشياء"[1]. فهو لم يعتن بالجانب التّعبدي للمسلم على حساب ما يحيط به من واقع معيشي بل على العكس كان يسعى دوما إلى توجيه سلوك المتلقي في الحياة العمليّة، لأنّ الدّين ليس حالة تعبّديّة فقط, "بل هو يمثل المنهج الذي يجمع المادّة والرّوح، فالإنسان يمارس حياته الماديّة في ظل الأخلاقيّة الدّينيّة طالما أن الدّين لا يدعو إلى أن يهمل الفرد دنياه وغرائزه"[2].

5- السلم الحجاجي في القصص ذات البعد التعليمي:

إنّ القصّة عبارة عن متوالية من الأقوال والجمل، أو – بتعبير حجاجي – مجموعة من الحجج والنّتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق، فالحجّة تستدعي الحجّة المؤيّدة أو المضادّة، والدّليل يفضي إلى النّتيجة، والنّتيجة تفضي إلى دليل آخر، وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه ويوجّه القول الذي يليه، وبعبارة أخرى فإنّ الأقوال والجمل تقوم بينها علاقات منطقيّة ودلاليّة مثل علاقات الشّرط والسّببيّة والاستلزام والاستنتاج والتّعارض (وبتعبيرنا نحن علائق حجاجيّة استدلاليّة)"[3] تؤدّي إلى إقناع المخاطَب والتّأثير فيه ومن ثمّة تغييره حسب مراد المتكلم.

وقد أدرجنا بعض النّماذج التي يسعى من خلالها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تغيير البنيّة الدّاخليّة للفرد والبنية الخارجيّة للمجتمع وما يرتبط بها من اقتصاد وسياسة. وفيما يلي سنقدّم بعض النّماذج ذات البعد التّعليمي والثّقافي، وقد تركناها

[1] حميدي خميسي، افتتاحية العدد، مجلة الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر، ع2، 2008، ص11.

[2] أحمد حطيط، الخطاب الصوفي والعولمة، مفهومان متنافران، مجلة الخطاب الصوفي، ع2، ص 153.

[3] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 18، 19.

للأخير لأنّ التّعليم يمس كل جوانب الحياة ولا يقتصر على جانب دون آخر، ومن أمثلة ذلك:

قصّة «سليمان والمرأتان» والتي جاء فيها: "**خرجت امرأتان معهما صبيّان لهما، فعدا الذّئب على إحداهما فأخذ ولدها. فأصبحتا تختصمان في الصّبي الباقي إلى داود عليها السّلام، فقضي به للكبرى منهما، فمرّتا على سليمان فقال: كيف أمركما؟ فقصّتا عليه. فقال: ائتوني بالسّكين أشق الغلام بينهما. قالت الصّغرى: أتشقه؟ قال: نعم. فقالت: لا تفعل، حظّي منه لها**"[1].

في هذه القصّة نجد أنّ الأقوال تتسلسل وتترابط بشكل بديع؛ فالحجّة الأولى استدعت النّتيجة الأولى وهي مصرّح بها، والتي بدورها تحوّلت إلى حجّة استدعت نتيجة ثانية مضمرة ولتوضيح الأمر أكثر سوف نمثّل لهذا السّلّم الحجاجي كالآتي:

ائتوني بالسّكين أشق الغلام بينهما **(ح)** ⟵ حظّي منه لها **(ن1)**

حظّي منه لها **(ح)** ⟵ قُضي لها بالولد **(ن2)**

في هذا السّلّم الحجاجي يسعى النّبي صلى الله عليه وسلم إلى إقناع المتلقي بضرورة استخدام الحكمة في القضاء، وعدم الاعتماد على الأدلّة المادّيّة الملموسة فقط عند إصدار الحكم لأنّها قد تكون مزيّفة وغير حقيقيّة، والاستعانة بالقرائن وبالأمارات عند غياب الأدلّة كما هو الحال في هذه القصّة التي غاب فيها الدّليل القاطع؛ فكلام مقابل كلام، كلتاهما تفتقد الدّليل على صدقها.

لكن سليمان عليه السّلام فكّر في الأمر واحتال حيلة تساعده على معرفة الأم الحقيقيّة، فكانت حجّته شقّ الغلام إلى نصفين وإعطاء كل واحدة منهما نصفا، وبذا يعدل بينهما في الحكم. لكن النّتيجة غيّرت مسرى الحكم الأوّل "فالأم الحقيقيّة وهي

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 363 (رقم الحديث 3427).

الصّغرى جزعت من الحكم لأنّ فيه هلاك ولدها، فطابت نفسها به للأخرى لأنّ في ذلك بقاءه وحياته، وإن كان فيه حرمانها من رعايته وتربيته، أمّا الأخرى التي لا تربطها بالطّفل رابطة الأمومة فإنّها قبلت بالحكم الذي أظهره سليمان، فاستدلّ سليمان بذلك على الأمّ الحقيقيّة، فحَكَم لها بالطّفل على الرّغم من إقرارها به للأخرى"[1].

فسليمان –عليه السّلام– توصّل "بطريق من الحيلة والملاطفة إلى معرفة باطن القضيّة، فأوهمهما أنّه يريد قطعه ليعرف من يشقّ عليها قطعه، فتكون هي أمّه، فلمّا أرادت الكبيرة قطعه عرف أنّها ليست أمّه، فلمّا قالت الصّغرى ما قالت عرف أنّها أمّه، ولم يكن مراده قطعه حقيقة وإنّما أراد اختبار شفقتهما لتتميّز له الأم، فلمّا تميّزت بما ذكرت عرفها"[2].

قصّة «موسى والخضر» والتي جاء فيها: "**قام النّبي موسى خطيبا في بني إسرائيل فسئل أيّ النّاس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه فأوحى الله إليه أنّ عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: يا رب وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتا في مكتل فإذا فقدته فهو ثَمَّ، فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحملا حوتا في مكتل حتى كانا عند الصّخرة وضعا رؤوسهما وناما فانسلّ الحوت من المكتل ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾**[3]...

فلمّا انتهيا إلى الصّخرة إذا رجل مسجّى بثوب أو قال: تسجّى بثوبه، فسلّم موسى فقال الخضر: وأنّى بأرضك السّلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[4]. **قال: ﴿إِنَّكَ لَن**

---

[1] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 151.

[2] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص **151**.

[3] سورة الكهف، الآية 61.

[4] سورة الكهف، الآية 66.

تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧﴾[1]، يا موسى إنّي على عِلْمٍ من علم الله علّمنيه لا تعلمُه أنتَ وأنتَ على علمٍ علّمكه لا أعلمه... يرحم الله موسى لَوَددْنا لو صبر حتى يقصّ علينا من أمرهما"[2].

يمكن تمثيل السّلّم الحجاجي للقصّة كالآتي:

هذا فراق بيني وبينك ..... **ن**

ألم أقل لك إنّك لن تستطيع معي صبرا..... **ح1**

ألم أقل لك إنّك لن تستطيع معي صبرا..... **ح2**

إنّك لن تستطيع معي صبرا **ح3**

تتسلسل الأقوال في هذا السّلّم الحجاجي وتتتابع بشكل تدريجي، واللافت للانتباه في هذا السّلم تكّرّر الحجّة ثلاث مرّات (إنّك لن تستطيع معي صبرا)، فالحجج هنا "لا تتفاضل في القوّة بل تقع في ميزان واحد"[3]، ويقوّي بعضها بعضا لتفضي في الأخير إلى النّتيجة المتوقّعة: الفراق بين موسى عليه السّلام والخضر لقوله: (هذا فراق بيني وبينك).

فموسى –عليه السّلام– طلب من الخضر "الإذن له بمصاحبته ومتابعته، فقال له: إنّك لن تستطيع معي صبرا. فتعهّد له بأن يكون صابرا بإذن الله ومشيئته، فاشترط عليه ألّا يسأله عن شيء حتى يعلمه هو بتفسيره، ويبيّنه له"[4]. ولكنّه لم يصبر فيذكّره الخضر بحجّته في كل مرّة، فيعتذر لنسيانه ثمّ يعيد الكرّة ثانيا وثالثا، ما أعذر صاحبه ففارقه نتيجة لعدم التزامه بوعده له (الصّبر).

---

[1] سورة الكهف، الآية 67.

[2] البخاري، الصحيح، ج1، كتاب العلم، ص 40، 41 (رقم الحديث 122).

[3] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 30.

[4] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 85.

وهنا يورد رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر القصّة نقيض السّلّم الأوّل، ويمكن تمثيله كالآتي:

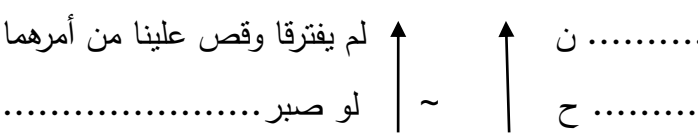

من خلال هذا السّلّم ونقيضه يتّضح لنا أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كان يسعى إلى إقناع المخاطَب بوجود عِلْمان؛ العلم الديني والعلم اللدني، الشّريعة والحقيقة. ولا تعارض بينهما لأنّه وإن كان هناك فرقا بينهما إلا أنّهما من مصدر واحد، فكما في القصّة لكل واحد منهما علم يخالف علم صاحبه خصّه الله به، لقوله: (يا موسى إنّي على عِلْمٍ من علم الله علّمنيه لا تعلمُه أنتَ وأنتَ على علمٍ علّمكه لا أعلمه).

فموسى –عليه السّلام– حسب شَرْعِه ورؤيته الظّاهرة كان يرى فعل الخضر خطأ ومعصية وهو في الحقيقة صواب نظرا لرؤيته الباطنة، فموسى لم يكن يعلم أنّ الملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصبا، ولم يكن يدري أنّ الغلام سيكون كافرا في المستقبل ويكفّر والديه، كما لم يكن يظن أنّ تحت الجدار كنزا ليتيمين كان أبوهما صالحا، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ولا رادّ لفضله وعطائه.

إنّ الإقناع يدفع للقيام بعمل ما والإحجام عن آخر، وبناء عليه فالنّبي صلى الله عليه وسلم يدفع المتلقي لاتّباع أهل العلم والصّلاح، والتزام الصّبر عند مصاحبتهم، فموسى عليه السّلام اتّبع الخضر ولم تمنعه نبوّته ولا فضله ومكانته من أن يكون تابعا لمن هو أعلم منه كما أخبره بذلك تعالى. كما يدفعه إلى الابتعاد عن الإنكار عليهم، وإذا أنكر شيئا فما عليه إلا أن "يستعلم منهم عن وجهة نظرهم فيما قاموا به مخالفين لما يظنّه الصّواب، فموسى كان يرى فعل العبد الصّالح خطأ وهو في الحقيقة

صواب"[1]. فهو صلى الله عليه وسلم يعلّمنا الطّريق الصّحيح لطلب العلم كما يبيّن لنا آداب المتعلّم مع معلّمه.

قصّة «النبي الذي حبست له الشّمس» والتي جاء فيها: "**غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتّبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خَلِفات* وهو ينتظر وِلادَها**، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشّمس: إنّك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم فجاءت يعني النّار لتأكلها فلم تطعمها فقال: إنّ فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذّهب فوضعوها فجاءت النّار فأكلتها، ثمّ أحلّ الله لنا الغنائم رأى ضعفنا وعجزنا فأحلّها لنا**"[2].

يمكن تمثيل السّلّم الحجاجي للقصّة كما يأتي:

حبست الشمس عنه وفتح الله عليه ..... **ن**

ولا أحد اشترى غنما أو خَلِفات وهو ينتظر وِلادَها..... **ح1**

ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها **ح2**

لا يتّبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها..... **ح3**

يكشف هذا السّلّم الحجاجي عن النّتيجة التي يهدف النّبي صلى الله عليه وسلم بصفته المتكلم إلى إقناع المخاطَب بها ودفعه للعمل من أجلها؛ الفوز والنّصر والفتح.

---

[1] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 90.

*خلفات: النوق الحوامل أو الغنم الحوامل. ينظر: الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 114.

**ولادها: نتاجها. ينظر: المرجع نفسه، ص 114.

[2] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب فرض الخمس، ص 283 (رقم الحديث 3124).

"ويقضي الاستدلال أو المنطق أيّا كان هذا المنطق (صوريّا أو طبيعيّا) أن يرفق ذكر النّتيجة بذكر الأدلّة والحجج التي تخدمها وتؤدّي إليها"[1]، ولذلك أورد النّبي صلى الله عليه وسلم الحجج التي قدّمها هذا النّبي حتى يحقّق النّصر والتي تتمثّل في عدم قبوله لثلاثة أصناف من المقاتلين؛ أمّا الصّنف الأوّل: فرجل عقد نكاحه على امرأة ولم يدخل بها بعد فقلبه معلّق بها. وأمّا الثّاني: فرجل مشغول ببناء لم يكمله بعد. وأمّا الثّالث: فرجل اشترى غنما أو نوقا وهو ينتظر ولادتها.

هذه الحجج تكشف عن طبيعة المقاتلين الذين قد يكونون سببا في هزيمة هذا النّبي، وذلك لتعلّقهم بالدّنيا وحبّهم لشهواتها من نساء وأموال وبنين وغير ذلك، لقوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[2]. ولذلك لم يهتم هذا النّبي "بكثرة العدد عند مواجهة أعدائه، وإنّما اهتمّ بالنّوعيّة المقاتلة، ولذا أخرج من صفوف جنده أولئك الذين تعلقت قلوبهم بأمر من الأمور الدّنيويّة التي تملك على العباد نفوسهم"[3].

فالنّبي صلى الله عليه وسلم يقنع المتلقّي بخطّة ناجعة ونظريّة قاطعة للنّصر سواء أكان ذلك في المعارك القتاليّة الحربيّة أم المعارك الحياتيّة التي تحتاج إلى قيادة حكيمة وشخصيّة فذّة، فالجيوش لا تنتصر والمؤسّسات لا تنجح بكثرة العدد بل بنوعيّة الأشخاص، فالكيف أهمّ من العدد. وبذلك يدفعه إلى تبنّي السّلوك الصّحيح لتحقيق ذلك؛ معرفة الطّبائع البشريّة، اختيار الأصناف المخلصة لله تعالى والتي يمكنها

---

[1] أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 20.

[2] سورة آل عمران، الآية 14.

[3] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 113.

الصّبر في ميدان القتال أو العمل، استبعاد النّوعيّات التي قد تؤدّي إلى الهزيمة والفشل والتّراجع[1].

فدائما نجد أنّ الباطن محرّك للظّاهر فالصّدق والإخلاص لله تعالى في العمل منبع كل عطاء ومصدر كل نوال، فإيمان هذا النّبي ويقينه في قدرة الله تعالى جعلته يخاطب الشّمس ويدعو المولى –عزّ وجل– أن يحبسها ويؤخّر الغروب لأنّ القتال في اللّيل أصعب، فاستجاب الله دعاءه وغيّر لأجله نواميس الكون فأبطأ دورة الأرض حول نفسها حتى يتمّ الفتح. وهكذا حال كلّ صادق ومخلص يبتغي وجه الله تعالى ولا همّ له في الدّنيا سواه.

وفي الأخير يمكن إدراج سلم جزئي للقصص التّعليميّة، نمثّله كالآتي:

النّتيجة: بناء فرد متعلّم يمتلك ثقافة واسعة في جميع ميادين الحياة

قصص حول القضاء

قصص حول القيادة

قصص حول العِلْم

إنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كان يسعى إلى تنشئة الأفراد تنشئة روحيّة، وبناء الشخصيّة الإسلاميّة الحقيقيّة وتكريس الانتماء الدّيني، فالإنسان "كيان ووجود قابل لأن يُصطنع ويُبنى لبنة لبنة، وجزءا جزءا. وكما ينمو جسده ذاتيّا، فإنّ روحه قابلة للسّمو إن هو تعهّدها بالرّعاية والسّقاية شأنها شأن الجسد سواء بسواء"[2].

وخلاصة الأمر يمكن القول إنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كان يسعى إلى تغيير البنية الفكرية والنّفسيّة للمتلقي ومن ثمّة السّلوك الفردي والجماعي من أجل صناعة

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 120.

[2] محمد سعيدي، بناء الإنسان في الفكر الصوفي الإسلامي، مجلة حوليات التراث، ع1، 2004، ص116.

مجتمع مثالي يقود الإنسانيّة إلى برّ الأمان، ولأجل ذلك بنى صلى الله عليه وسلم قصصه وفق خطّة حجاجيّة منظّمة، يمكن رسم بنيتها كالآتي:

النّتيجة: بناء الشّخصيّة المسلمة النّموذجيّة وصناعة أمّة الخيريّة المنشودة التي ترقى بالإنسانيّة عقائديّا وفكريّا واجتماعيّا واقتصاديّا وسياسيّا.

قصص سياسيّة (تفعيل الأخلاق في الحياة السّياسيّة = قوّة تبوّئ الأمّة مكانة بين الأمم)

قصص اقتصادية (ممارسة المعاملات الماليّة وفق القيم الأخلاقيّة = تنمية وازدهار)

قصص اجتماعيّة (تفعيل القيم الأخلاقيّة في الحياة الاجتماعيّة = استقرار وتوازن)

قصص تعليميّة (طلب العلم في كل مجال = تطوّر)

قصص تربويّة (غرس مكارم الأخلاق = بناء الفرد)

استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصصه أقوالا متتابعة بشكل تدريجي ممنهج من الأدنى إلى الأعلى من أجل بناء خطّته الحجاجيّة وتوجيه عمليّة الفهم والتّأويل عند المشارك في عمليّة التّخاطب، وتقييده بما توفّره اللغة من توجيه أو تعديل أو تغيير في الرّأي[1]، وذلك لصناعة "الشّخصيّة المسلمة النّموذجيّة التي تعي جوهر الرّسالة وتستطيع الثّبات عليها... ولضمان إنتاج أمّة الخيريّة المنشودة التي ترقى بالإنسانيّة عقائديّا وفكريّا واجتماعيّا وسلوكيّا"[2].

فالتّناغم مطلوب بين الأطر والجوانب السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والتّعليميّة من جهة، والجانب الدّيني الرّوحي من جهة أخرى، وهذا ما يسعى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنّه هو وحده الكفيل بـ "تعزيز ثقافة الإنجاز, ومن ثَمَّ السّير قدما

[1] ينظر: خليفة الميساوي، الوصائل الحجاجية في المقاربات اللسانية الغربية، ص 501.

[2] معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص 133.

على درب التّنمية"[1] لتشييد حضارة إسلاميّة تَتَعَالَى عن أدران الرّقمنة والمادّيّة الفجّة، إلى عالم أسمى وأسنى يحقّق خلافة الله في الأرض التي خُلِق من أجلها الإنسان، لأن "كلاّ من السّياسة الرّاشدة بين الحاكم والمحكوم والمجتمع الذي ينظّمه ميزان العدل وشريان التّعاون, والاقتصاد المزدهر الذي تمتد أفياؤه إلى الفرد والمجتمع, لا ينمو كل ذلك ويترعرع إلا في نفوس صَقَلَتْهَا أو زَكَّتْها العبادة الصّحيحة لقيّوم السّموات والأرض"[2].

وهذا هو المنهج الرّبّاني الذي يسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تحقيقه؛ منظومة من القيم والأخلاق القادرة على تأهيل المسلم والسّمو به إلى مصافّ الصّالحين والقادة المميّزين.

منهج يتعدّى العبادات إلى الشّواهد العمليّة التي تضبط حركات وسكنات الإنسان وجلواته وخلواته وأقواله وأفعاله وتفكيره وسلوكه مع نفسه ومع ربّه ومع الآخرين ومع كلّ شيء، إنّه بحقّ ثقافة حياة؛ الحياة الحقيقيّة التي يجب أن يعيشها المؤمن.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم بحق هو "طبيب يعالج الأنفس المريضة ويأخذ النّاس والمجتمعات من مواقع الرّدى والهلاك إلى مواقع النّجاة فهو سفينة الحق فلا غنى عنه في كل زمان ومكان، لذلك أقام الحقّ له مقام الحقّ في كل الأزمان والعصور"[3].

---

[1] عبد القادر تومي، التصوف والمجتمع، قراءة في الأبعاد الاجتماعية للتصوف، مجلة الخطاب الصوفي، ع3، 2010، ص165.

[2] محمد سعيد رمضان البوطي، التعرف على الذات هو الطريق المعبّد إلى الإسلام، دار الفكر، دمشق، دط، دت، ص91.

[3] معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص 138.

ثالثا: الروابط الحجاجية في القصة النبوية

تمهيد:

إنّ غاية الحجاج ومنتهاه هو الإقناع، لأنّ المتكلم لا يتكلم هكذا هراء وعبثا دون أي قصد فوراء كل قول قصد وغرض وغاية يبغي الوصول إليها، وهذا ما قصده (ديكرو) حين قال: "أننا نتكلم عامة بقصد التّأثير". فالحجاج موجود في كل الخطاب واللغة بكل إمكاناتها الطّبيعيّة تتجلّى فيها هذه الوظيفة الحجاجية.

فالمتكلم حتى يحمل مخاطَبه على مشاطرته الرّأي أو التّصرّف وفقا لما يرضاه أو يتوخّاه فإنّه يبني خطابه على أساس ذلك، فيستثمر كل ما في اللغة من روابط وعوامل ومؤشّرات تساعد المتلقي على الفهم والتّأويل، كما تؤهّله لاستنباط الحجج واستقرائها، لأنّ "الاستعمال الإقناعي للغة ليس شيئا مضافا إلى اللغة، بل إنّه موجود في نظامها الدّاخلي"[1].

وبالتّحديد فيما تحمله من معطيات وقرائن لغويّة "تمثّل توجيهات وتعليمات تحدّد دلالة القول ووجهته الحجاجيّة وهذه الوجهة هي التي تمثّل الأساس الذي يقوم عليه الرّبط بين الأقوال على نحو آخر ضمن استراتيجيّة حجاجيّة ما. ولا دخل لأيّ بنية استدلاليّة مسبقة ... فقواعد الرّبط ومبادئه وقوانينه ذات طبيعة خطابيّة مسيّرة لغويّا بل إنّ أعمال الاستدلال نفسها ظواهر تنتج في الاستعمال عن الخطاب نفسه قبل أي تجريد صناعي منطقي ينزع عنها دلالتها اللغويّة وخصائصها الخطابيّة"[2].

فالرّوابط إذن هي أحد المؤشّرات الحجاجيّة التي تسند معنى من المعاني إلى الأقوال التي يتلفّظ بها المتكلم، وبها يوجّه دفّة الحجاج بداية ونهاية، افتتاحا واختتاما.

---

[1] Ducrot, dire et ne pas dire, p 227.

[2] شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 380.

لأنّ العلاقات بين القضايا والأحداث، إنّما يعبّر عنها على نحو خاص بواسطة مجموعة من العبارات من مختلف أنواع التّراكيب، ممّا يمكن أن نطلق عليه هنا اسم الرّوابط[1].

1- مفهوم الروابط الحجاجية:

يعرّف (موشلير وروبول) الرابط الحجاجي في القاموس التّداولي بأنّه "عبارة عن علاقة لسانيّة تربط بين غرضين لغويّين داخل القولة نفسها"[2]. فهو "الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في استراتيجيّة حجاجيّة واحدة"[3]، أو "يربط بين فعلين لغويين اثنين، فهو موصل تداولي يعمل على تفكيك مكوّنات الفعل اللغوي ليجعل منها أفعالا لغويّة يحمل عليها وهي منفصلة عن بعضها البعض"[4]. وكمثال على ذلك:

زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان. يضمّ هذا القول حجّة (زيد مجتهد)، ونتيجة (سينجح)، ورابط حجاجي يربط بينهما (إذن).

إنّ هذه الرّوابط تسمّى عند مناطقة اللفظ الأداة "وهو لفظ لا يدلّ بحدّ ذاته على أيّ معنى وإنّما من طبيعته أن يربط فقط بين الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها. وهو لا يصلح أن يكون موضوعا ولا محمولا في القضايا المنطقيّة"[5]. ولكن الجديد الذي يميّز هذه الرّوابط هو القيمة الحجاجيّة التي تمتلكها والتي تمكّن المتكلم

---

[1] فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2000، ص 82، 83.

[2] جاك موشلير، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين مجدوب، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، دط، دت، ص 86.

[3] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 30.

[4] المرجع نفسه، ص 28.

[5] نجم الدين القزويني، الشمسية في القواعد المنطقية، تح: مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص 48.

من توجيه خطابه الوجهة التي يريد، فلا ينظر لها من منظور وصفي أو إخباري أو نحوي بل تعدّى ذلك إلى التّوجيه الحجاجي.

فالرّوابط الحجاجيّة تكمن وظيفتها في التّوجيه الحجاجي، حيث تتضمّن "مجموعة من التّعليمات والإشارات التي تتعلّق بالطّريقة التي يتمّ بها توجيه القول أو الخطاب نحو نتيجة محدّدة، هي التي تمثّل القصد الحقيقي للمتكلّم حتى إن لم تكن البنية التّركيبيّة دالّة عليها دلالة وضعيّة مباشرة وهي التي يتم استقبالها من قبل المخاطَب ويؤوّلها قبل أن يستجيب"[1].

ومعنى هذا أنّ التّوجيه يحصل في مستويين: "مستوى السّامع ومستوى الخطاب نفسه خاصّة مع ما بين المستويين من تداخل. والآية في توجيه السّامع أنّنا حين نتكلم إنّما نروم في العادة، التّأثير في هذا السّامع أو مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي عملا ما أو إزعاجه أو إحراجه وغير ذلك ..."[2].

وأمّا بالنّسبة للخطاب فالحجّة "تكتسي بالنّسبة إلى النّتيجة قيمة معيّنة، إذ أنّها تساندها أو تعاندها بمقادير متفاوتة. وإذا كان بإمكان الملفوظ أن يتألّف من أكثر من حجّة، فإنّ هذه الحجج تنتسق فيما بينها انتساقا حجاجيّا، وهي في انتساقها هذا إمّا أن تشترك في توجّهها مساندة أو معاندة، وإمّا أن تتباين فيكون بعضها مساندا والبعض الآخر معاندا (أي مساندا للنّتيجة المتعارضة مع النّتيجة الأولى)"[3].

وبناء عليه فقد يكون التّوجيه الحجاجي يسير في نفس الاتجاه، وقد يكون متعارضا يسير في اتّجاهين متعاكسين، وذلك متوقّف على نوع الرّابط الذي يربط بين الأقوال

---

[1] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، ص 109.

[2] عبد الله الصولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2001، ص36.

[3] رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية، ص 766.

والحجج، ما يدفعنا إلى تصنيف الرّوابط من أجل الكشف عن الاتّجاه الحجاجي لقصص الحديث النّبوي وتقصّي الأهداف التي يرمي إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- أنواع الروابط الحجاجيّة:

إنّ ظاهرة الرّبط تبدو معقّدة بعض الشّيء لأنّ الرّابط لا يربط بين قولين فحسب بل قد يربط بين "عناصر غير متجانسة، كأن يربط مثلا بين قول وقوليّة (une énonciation)، أو بين قول وسلوك غير كلامي إلى غير ذلك من الحالات الممكنة"[1]. ولهذا فإنّ تصنيف الرّوابط يخضع لمجموعة من المعايير، أهمّها[2]:

- معيار عدد المتغيّرات حيث يربط الرّابط بين المتغيّرات الحجاجيّة، فيكون محمولا ذا موقعين حجاجيّين، حيث يتوسّط الرّابط الحجاجي متغيّرين حجاجيّين مثل: الجوّ ممطر إذن سأبقى في المنزل. أو ذا ثلاثة مواقع حيث يتوسّط الرّابط الحجاجي ثلاثة متغيّرات حجاجيّة مثل: ساءت أحوال عمّار أصبح يدخّن ويشرب الخمر وصار من مدمني المخدّرات.

- معيار وظيفة الرّابط حيث يحدّد هذا المعيار وظيفتين للرّابط الحجاجي، فهناك فئة الرّوابط التي وظيفتها سوق الحجج، وفئة أخرى وظيفتها سوق النّتيجة.

- معيار العلاقة بين الحجج التي يسوقها الرّابط حيث يحدّد هذا المعيار فئتين من الرّوابط حسب اتّجاهها الحجاجي، الأولى تكون حججها متساندة أو متساوقة، والثانية تكون حججها متعاندة أو متعارضة.

وبناء على هذه المعايير تتحدّد أنواع الرّوابط، وهي:

---

[1] أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص 65.

[2] ينظر: رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية، ص 101، 102.

أ- الرّوابط المدرجة للحجج:

هي الرّوابط التي تدرج لسوق الحجج مثل: حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأنّ ... وكمثال على ذلك: لن أخرج أنا متعب و**حتى** رأسي يؤلمني. الرابط (حتى) ساق حجة ثانية (رأسي يؤلمني) تساند الحجّة الأولى في المثال (أنا متعب) لخدمة النّتيجة (عدم الخروج).

ب- الرّوابط المدرجة للنّتائج:

هي الرّوابط التي تدرج لسوق النّتيجة، مثل: إذن، لهذا، بالتالي... وكمثال على ذلك: اجتهدتُ كثيرا هذه السّنة **لهذا** سوف أنجح. الرابط (لهذا) جاء مقترنا بالنّتيجة (سوف أنجح).

ج- روابط التّساوق:

وهي التي تكون حججها متساندة أو متساوقة تخدم نتيجة واحدة مثل: حتى، لا سيما... ومثال ذلك: أحمد يحبّ فعل الخير **لا سيما** الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. فالحجج هنا (فعل الخير) و(الأمر بالمعروف) و(النهي عن المنكر) تتساند لتفضي إلى نتيجة مشتركة مفادها أنّ أحمد رجل صالح.

د- روابط التّعارض:

وهي التي تكون حججها متعاندة أو متعارضة، مثل: بل، لكن، مع ذلك .... ومثال ذلك: أنا مريض **لكنّي** سأذهب إلى الجامعة. نلمح تعارضا بين الحجّة (المرض) والنّتيجة (الذّهاب إلى الجامعة من أجل الدّراسة).

3- الروابط الحجاجية في القصة النّبوية:

إنّ الحجاج "علاقة دلاليّة تربط بين الأقوال في الخطاب"[1]، وهذا يعني أنّ الحجاج محكوم بقيود لغويّة تتحكّم في توجيهه، فاللغة لا تحمل معلومات فحسب، بل "تحتوي في نفسها وبصرف النّظر عن استعمالها في السّياق على عناصر حجاجيّة بحتة، كما أنّ بعض الملفوظات تحمل ما يسمّى بتوجيهات حجاجيّة تسمح بمتابعة الملفوظ بملفوظات أخرى، أي أنّها ترجّح اتّجاها من النّتائج وتمنع آخر"[2].

وهذا ما أردنا الكشف عنه في هذا الجزء من البحث؛ رصد أهم الرّوابط التي وظّفها النّبي صلى الله عليه وسلم في قصصه، وتبيان دورها في توجيه المخاطَب الوجهة التي أرادها صلى الله عليه وسلم، ولأجل ذلك سندرج بعض القصص على سبيل المثال لا الحصر.

أ- الرّوابط المدرجة للحجج في القصة النّبوية:

إنّ الرّوابط "يتعيّن دورها الوظيفي في توجيه الجمل الاستدلاليّة مع ربطها بظروف الخطاب، وأغراضه الاستدلاليّة"[3]. ومن أهم الرّوابط الحجاجيّة المدرجة للحجج في قصص الحديث النّبوي الرابط الحجاجي (حتى).

إنّ الرّابط حتى(même) لا ينحصر دوره في إضافة معلومة، وكمثال على ذلك: جاء زيد، حتى زيد جاء لم يضف معلومة أخرى فقط (فمجيء زيد غير متوقع) بل "إنّ دور هذا الرّابط يتمثّل في إدراج حجّة جديدة أقوى من الحجّة المذكورة قبله، والحجّتان تخدمان نتيجة واحدة ولكن بدرجات متفاوتة من حيث القوّة الحجاجيّة"[4].

---

[1] شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 360.

[2] كورنيليا فون راد صكوحي، الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس،2003، ص32

[3] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص 104.

[4] Ducrot , les échelles argumentatives , p 15 ,16.

وهذا يعني أنّ الرّابط (حتى) "يختص بإرشاد حجاجي يقضي بأن يتم تأويل الملفوظ، الحجّة الذي يسوقه باعتباره أقوى من غيره في إسناد النّتيجة الواردة في هذا الملفوظ ككل"[1]. وقد وظّفه النّبي صلى الله عليه وسلم في قصصه من ذلك:

قصّة «المسؤولية والجزاء» والتي جاء فيها: "... **أمّا الذي رأيته يُشَقُّ شِدْقَه فكذّاب يحدّث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة ...**"[2]

إنّ الرّابط الحجاجي (حتى) في هذه القصّة جاء ليقوّي الحجّة الأولى، فالرّجل يكذب الكذبة ولا يدري مآلها، فاقترنت الحجّة الثّانية بـ (حتى) لتدعم سابقتها وتكشف عن أثرها المجهول، فالكذبة تحمل عن صاحبها وتنتقل بسرعة البرق، لا سيما في هذا العصر عصر التّكنولوجيا الذي تطوّرت فيه وسائل الإعلام والاتّصال بشكل رهيب. فيصدّقها النّاس ويعملون بها فيأثمون، فربّ فتوى كاذبة دمّرت أمّة بأكملها، وهذا ما نشاهده اليوم من فتاوى غريبة تروّج باسم الإسلام وتنفّذ في دار الإسلام وخاصّة بعد موجة الرّبيع العربي التي وَسَمَت المسلمون بالإرهابيّين.

فالرّابط الحجاجي (حتى) يقوّي الحجج خدمة النّتيجة الوخيمة المصرّح بها؛ العذاب الذي يصنع به يوم القيامة. ويوجّه المتلقّي إلى الهدف الذي يسعى إليه النّبي صلى الله عليه وسلم، وهو تجنّب الكذب لينجو المخاطَب من عذاب الآخرة، وليحافظ على المجتمع من أكاذيب قد تؤدّي إلى هلاكه وهلاك الأمّة، وذلك لما للكذب من أخطار قد تنجم عنه والنّاس في غفلة عن ذلك.

---

[1] رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية، ص 781.

[2] البخاري، الصحيح، ج1، كتاب الجنائز، ص 324 (رقم الحديث 1386).

قصّة «زمزم» والتي جاء فيها: "... **جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكّة يومئذ أحد...**"[1].

اقترن الرّابط الحجاجي (حتى) هنا بالحجّة الثّانية (وضعهما عند البيت وليس بمكّة يومئذ أحد وليس بها ماء) حتى يقوّي الحجّة الأولى ويدعمها خدمة للنّتيجة المرجوّة؛ فالحجّة الأولى تذكر أنّ إبراهيم –عليه السّلام– جاء بزوجته وابنه؛ فقد يكون جاء بهما إلى مدينة أخرى إبعادا لهما عن سارة زوجته الأولى، لكن الحجّة الثّانية توجّه القول، فقد أتى بهما إلى مكان قفر، خال من سبل الحياة. امرأة ضعيفة وابن لها وليد اللحظة لا يقوى على شيء، بل هو أضعف منها في مكان كهذا، ماذا تخدم هذه الحجج؟ ما النّتيجة المتوخّاة؟

فالرّابط (حتى) وجّه المتلقي إلى النّتيجة التي يسعى النّبي صلى الله عليه وسلم إلى إقناعه بها؛ طاعة الله سبحانه وتعالى والتّسليم لأمره والرّضى بقضائه وقَدَره، حتى ولو كان في أصعب الأوقات وأحلك اللحظات لأنّه لن يضيّع عباده كما هو حال المرأة والطّفل.

قصّة «الغلام» التي جاء فيها: "... **فاقتل هذه الدّابّة حتى يمضي النّاس، فرماها فقَتَلها ومضى الناس ...**"[2].

في هذه القصّة نجد أنّ الرّابط الحجاجي (حتى) اقترن بحجّة قويّة تساند وتعاضد الحجّة الأولى خدمة لنتيجة محدّدة وواضحة؛ خدمة المجتمع (فرماها فقتلها ومضى النّاس).

---

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص341 (رقم الحديث 3364).

[2] مسلم، الصحيح، ج2، كتاب الزهد والرقائق، ص711 (رقم الحديث 3005).

فقَتْل الدّابّة حسب الحجّة الأولى لا على التّعيين، قد يكون في الخلاء أو في غابة أو ما إلى ذلك، ولكن الحجّة الثّانية تكشف حجمَ المشكل؛ فالدّابّة في الطّريق تعيق المسير، وتحدث شللا في حركة المرور، وتعطّل مصالح النّاس، أي أنّ هناك أزمة يعاني منها المجتمع في تلك اللحظة.

فالغلام وإن كانت حجّته الأولى قتل الدّبّة لقتل الشّك الموجود داخله وللتّأكّد من صحّة دعوى الرّاهب أو السّاحر، ولكن الرابط (حتى) يوجّهنا إلى أنّ الغلام أراد مساعدة النّاس وحلّ مشكلتهم دون أن يطلب ذلك واحدا منهم، بل تطوّع لفعل الخير من تلقاء نفسه دون مقابل مادّي أو معنوي.

فهذا الرّابط يوجّهنا إلى مسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو إقناعنا بفعل الخير ومساعدة الآخرين، والعمل على إيجاد حلول للمشاكل الاجتماعيّة بكل فعّاليّة وإيجابيّة إخلاصا لله تعالى، بعيدا عن الأطماع الدّنيويّة من مال وجاه وسلطة.

وفي نفس القصّة أيضا: "... **فأخذه فلم يزل يعذّبه حتّى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بنيّ قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال: إنّي لا أشفي أحدا، إنّما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الرّاهب فجيء بالرّاهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار في مفرق رأسه فشقّه حتّى وقع شقّاه، ثمّ جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقّه به حتّى وقع شقّاه، ثم جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته، فإنْ رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم**

الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك ... فقال للملك: إنّك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به ..."[1].

اقترن الرابط الحجاجي (حتى) بمجموعة من الحجج، وفي كل مرّة تكون الحجّة أقوى من سابقتها وتساندها وتدعمها لتفضي جميعا إلى نتيجة واحدة ، وهي وَأْدُ الدّعوة في مهدها، فالملك حين علم من جليسه ما علم خشي على ملكه من الانهيار، فعذّبه حتى دلّ على الغلام لأنّ هذا الأخير هو الذي هداه للإيمان بالله تعالى، فكانت الحجّة الثّانية أقوى، والغلام دلّ على الرّاهب لأنّه هو الذي علّمه حقيقة الإيمان، فكانت الحجّة الثّالثة أقوى من الثّانية، لأنّ الملك كان يريد معرفة المصدر الأوّل لهذه الدّعوة فيقضي عليه حتى لا يهدّد أركان ملكه مرّة ثانية.

قتل الملك جليسه (حتى وقع شقّاه) وقتل الرّاهب أيضا (حتى وقع شقاه) ثمّ أراد قتل الغلام خدمة للنّتيجة التي أرادها (إنهاء هذه المشكلة). ولكن الرّابط (حتى) في الأخير اقترن بحجّة قويّة (لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به) قلبت النّتيجة رأسا على عقب، فقد أراد قتل الغلام لقتل دعوته إلى التّوحيد، ولكنّه بقتله دفع النّاس جميعا إلى الإيمان بالله الواحد الأحد.

ب- الرّوابط المدرجة للنّتائج في القصة النبوية:

هي الرّوابط التي تربط بين الحجّة ونتيجتها بغية توجيه الحجاج حسب مراد المتكلم؛ فالتّوجيه الحجاجي "هو كل ما يستدعي في الجملة حضور الوظيفة الحجاجيّة، وبموجب ذلك التّوجيه تخدم الحجّة فئة معيّنة من الخلاصات"[2]. فهو

[1] مسلم، الصحيح، ج2، كتاب الزهد والرقائق، ص 711 (رقم الحديث 3005).

[2] جاك موشلير، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 315.

الوجهة المقدّمة من القول قصد التّوصّل إلى فئة معيّنة من الاستنتاجات[1]. وقد استخدم النّبي صلى الله عليه وسلم هذه الرّوابط في قصصه، من ذلك: الرابط الحجاجي إذن.

(إذن) هي حرف نصب واستقبال، تنصب الفعل المضارع بثلاثة شروط، شرطان متعلّقان بموقعها فيجب أن تكون مصدريّة وألا يفصل بينها وبين الفعل فاصل، وشرط متعلّق بالفعل بأن يكون مستقبلا وليس حالا، وتكون جوابا لمتحدّث، وتكون استقبالا لأنّها تجعل حدوث الفعل بعدها في زمن المستقبل[2]. فإن فقدت أحد هذه الشّروط أبطل عملها، فتصبح حرف جواب وجزاء واستقبال، وتكتب بالتّنوين (إذًا) للتّفريق بينها.

ولكن ما يهمّنا هنا هو دورها الحجاجي لا غير، فتتمثّل وظيفتها في سوق النّتيجة أو إدراجها حيث تربط الحجّة بالنّتيجة. ومن أمثلة ذلك في قصص الحديث النّبوي:

قصّة «زمزم» والتي جاء فيها: "... **ثمّ جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكّة يومئذ أحد وليس بها ماء، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيّعنا** ... "[3].

إنّ الرّابط الحجاجي (إذن) ربط بين الحجّتين (جاء بها إبراهيم وبابنها)، (حتى وضعهما عند البيت) بالنّتيجة المصرّح بها والتي لا مرية فيها (إذن لا يضيّعنا). نتيجة حتميّة ينعم بها كل من سلك هذا الطّريق؛ طريق الطاعة والصبر والرضى.

---

[1] ينظر: رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، ص 109.

[2] المراد الحسن بن قاسم، الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص 361، 362.

[3] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 341 (رقم الحديث 3364).

فهذا الرّابط وجّه المتلقي إلى الصّبر وعدم الجزع من المصائب والبلايا، واليقين في رعاية الله تعالى لعباده لأنّه لن يضيّع من خلق، وخاصّة عبده الطّائع والصّابر والرّاضي. وهذا ما كشفته باقي أحداث القصّة؛ إذ رزق تعالى هاجر وابنها إسماعيل عليه السّلام ماء زلالا وساق إليهما بفضله ورحمته أناسا ليسكنوا معهم ويؤنسوا وحشتهم.

ج- الرّوابط المدرجة للتّساوق في القصّة النّبويّة:

تتعدّد هذه الرّوابط وتتنوّع ولكن الأكثر وُرودا في قصص الحديث النّبوي (الواو) و(الفاء) ولهذا سنتناول كل واحدة منهما على حده.

(الواو) تلعب دورا كبيرا في الجمع والمشاركة، وفي ذلك يقول ابن يعيش: "فالواو للجمع المطلق من غير أن يكون المبدوء به داخلا في الحكم قبل الآخر ولا أن يجتمعا في وقت واحد بل الأمران جائزان وجائز عكسهما، نحو قولك: جاءني زيد اليوم وعمر أمس واختصم بكر وخالد وسيان قعودك وقيامك. قال تعالى: وادخلوا الباب سجّدا وقوله حطّة، وقال: قولوا حطّة وادخلوا الباب سجّدا، والقصّة واحدة"[1]. ومعنى هذا أن الواو تجمع بين الأقوال وتجعلها تشترك في الحكم، "والدّليل على ذلك أنّها لا توجب إلا الاشتراك بين شيئين فقط في الحكم"[2].

فإن كان دور (الواو) في النّحو يقتصر على الجمع بين الأقوال فحسب، فإنّها في الحجاج تعدّ من أهم الرّوابط الحجاجيّة، إذ ليس دورها الجمع بين الحجج فقط، بل تقوّي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النّتيجة المرجوّة، فالواو رابط حجاجي مدعّم للحجج المتساوقة أو المتساندة. ويستعمل "الواو" حجاجيّا وذلك بترتيب الحجج ووصل

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت، ج2، ص 90.

[2] المرجع نفسه، ص 90.

بعضها ببعض، بل وتقوّي كل حجّة منها الأخرى وتعمل على الرّبط النّسقي أفقيّا على عكس السّلّم الحجاجي[1]. والأمثلة الواردة في قصص الحديث النّبوي كثيرة نقتصر على ذكر بعضها، من ذلك:

قصّة «المسؤولية والجزاء» والتي جاء فيها: "**هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكنّي رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدّسة ... قلت: طوّفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت قالا: نعم. أمّا الذي رأيته يُشَقُّ شِدْقَه فكذّاب يحدّث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة. والذي رأيته يُشْدَخ رَأْسَه فرجل علّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنّهار يفعل به إلى يوم القيامة. والذي رأيته في الثَّقْبِ فهم الزّناة. والذي رأيته في النّهر آكلوا الرّبا ...**"[2].

إنّ الحجج في هذه القصّة "لا تتفاضل في القوّة بل تقع في ميزان واحد"[3]، إذ ربط النّبي صلى الله عليه وسلم الحجج ببعضها البعض بالرّابط الحجاجي (الواو) لتقوية وتدعيم النّتيجة التي أراد إقناع المتلقي بها؛ ألا وهي اتّقاء المسلم النّار وتجنّب عذابها، وذلك لا يكون إلا بالإحجام عن كل هذه الأفعال التي أدّت إلى هذه النّتائج جملة وتفصيلا؛ الكذب وأكل الربا والزّنا ...

فالرّابط الحجاجي (الواو) هنا يوجّه المتلقّي إلى تجنّب هذه الأفعال جميعها، فاقتراف خطأ واحد أو القيام بفعل واحد منها فقط يوجب نوعا من أنواع العذاب المذكورة. فما على العاقل إلا الابتعاد عنها جميعا ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

---

[1] الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص472.

[2] البخاري، الصحيح، ج1، كتاب الجنائز، ص 324 (رقم الحديث 1386).

[3] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص30.

قصّة «الشّفاعة» والتي جاء فيها: "**إنّه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجّزها في الدّنيا، وإنّي قد اختبأْتُ دعوتي شفاعة لأمّتي، وأنا سيّد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر..**"[1].

جاءت الحجج في هذه القصّة متّسقة ومترابطة غير منفصلة، وكلّ حجّة تساند وتقوّي الحجّة الأخرى خدمة للنّتيجة المرجوّة شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمّته، وذلك بفضل الرّابط الحجاجي (الواو) الذي جمع بين خمس حجج. ويمكن تمثيل ذلك كما يأتي:

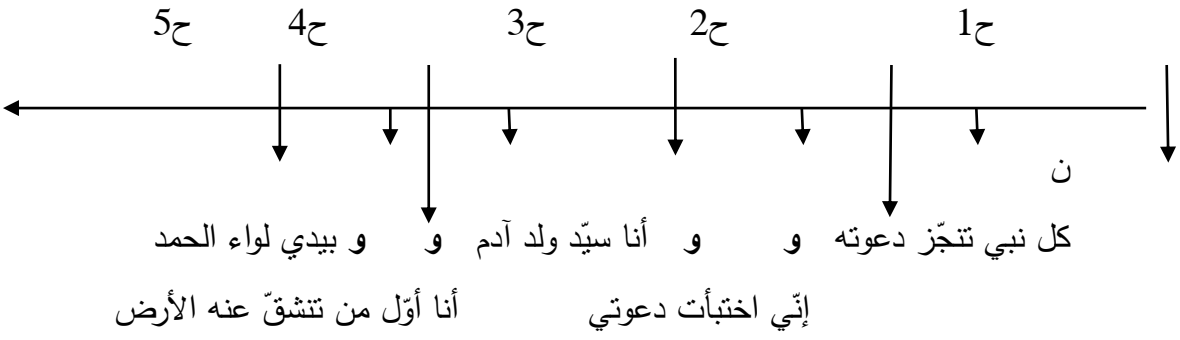

فهذا الرّابط (الواو) يوجّه المتلقّي إلى النّتيجة التي يريدها النّبي صلى الله عليه وسلم وهي إقناع المتلقي بمزيّة هذه الأمّة عن سائر الأمم؛ شفاعة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لأمّته دون استثناء يوم القيامة، فهو الشّافع المشفّع لقوله في رواية أخرى: "**فيأتوني فأسجد تحت العرش، فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفّع وسَلْ تعطَه**"[2].

[1] أحمد بن حنبل، المسند، ج4، ص 187، 189.

[2] البخاري، الصحيح، ج3، كتاب تفسير القرآن، ص 204 (رقم الحديث 4712).

وهذه النّتيجة تدفع المتلقّي للعمل المباشر؛ محبّة رسوله صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في كل صغيرة وكبيرة والصّلاة عليه في كل يوم بكرة وأصيلا.

(الفاء) من الرّوابط الحجاجيّة لها نفس الوظيفة التي يؤدّيها الرّابط الحجاجي (الواو)؛ إذ يضطلع بدور الجمع بين الحجج، ويقوّي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النّتيجة المرجوّة، فهو رابط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة والمتساندة. وهذا الرّابط يكثر في قصص الحديث النّبوي وسنقدّم بعض النّماذج على سبيل المثال لا الحصر. من ذلك:

قصّة «الإسراء والمعراج» والتي جاء فيها: "**بينما أنا عند البيت بين النّائم واليقظان ... ثمّ فرضت عليّ خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت عليّ خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالنّاس منك عالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة، وإنّ أمّتك لا تطيق فارجع إلى ربّك فَسَلْه، فرجعت فسألته فجعلها أربعين، ثمّ مثله ثمّ ثلاثين، ثمّ مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشرا، فأتيت موسى فقال: مثله فجعلها خمسا، فأتيت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمسا، فقال: مثله، قلت: فسلّمت فنودي إنّي قد أمضيت فريضتي وخفّفت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرا**"[1].

في هذه القصّة نلمح أنّ كلّ الحجج تدعم بعضها بعضا في اتّجاه حجاجي واحد وتتساند لتحقيق النّتيجة: تخفيف الفريضة وعظم أجرها. وذلك لإقناع المتلقي بالنّتيجة ودفعه لإقامة الصّلوات الخمس فهي مع قلّتها ويُسْرها ثوابها عند الله عظيم.

فالدّور الحجاجي الذي لعبه الرّابط (الفاء) هو تقوية الحجّة في كل مرّة للحصول على النّتيجة المرجوّة؛ التّخفيف عن الأمّة لأنّها ضعيفة، وهذا ما قاله موسى عليه

[1] المصدر السابق، ج2، كتاب بدء الخلق، ص307، 308 (رقم الحديث 3207).

السّلام لنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم: (إنّ أمّتك لا تطيق فارجع إلى ربّك فَسَلْه، فرجعت فسألته فجعلها أربعين، إنّ أمّتك لا تطيق فارجع إلى ربّك فَسَلْه، فرجعت فسألته فجعلها ثلاثين، إنّ أمّتك لا تطيق فارجع إلى ربّك فَسَلْه، فرجعت فسألته فجعلها عشرين، إنّ أمّتك لا تطيق فارجع إلى ربّك فَسَلْه، فرجعت فسألته فجعلها عشرا، إنّ أمّتك لا تطيق فارجع إلى ربّك فَسَلْه فرجعت فسألته فجعلها خمسا).

د- الرّوابط المدرجة للتّعارض في القصّة النّبويّة:

إنّ الرّوابط الحجاجيّة لا تنظّم فقط الجمل التي يكون فيها المقطع الثّاني معطى بوصفه تبريرا أو بوصفه نتيجة للمقطع الأوّل، وهذا ما يسمّى في الفرنسيّة الرّوابط المساوقة (car، لأنّ) و(donc، إذن)، إنّها تتدخّل في دلالة (لكن) (أو بالأحرى) اللتين تفرضان توجّها مضادّا للمحاججة[1].

إنّ الرّابط الحجاجي (لكن) يربط بين قولين متضادّين أو متفاوتين في القوّة؛ أمّا الأوّل: فلكون لكن تفيد الاستدراك، وهذا الأخير هو "تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام التي ترد على الذّهن بسببه، وهو يقتضي أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي"[2].

وفي ذلك يقول ابن يعيش: "كأنّك لمّا أُخبرت عن الأوّل بخبر، خفتَ أن يتوهّم من الثّاني مثل ذلك؛ فتداركتَ بخبره إن سلبا أو إيجابا، ولابدّ أن يكون خبر الأوّل مخالفا لخبر الأوّل لتحقيق معنى الاستدراك"[3].

---

[1] ينظر: جاك موشلير، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 505.

[2] عباس حسن، النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرّفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، ط4، دت، ج3، ص 616.

[3] ابن يعيش، شرح المفصّل، ج8، ص 80.

وأمّا الثّاني: فلكون الملفوظ الثّاني بعد (لكن) أقوى من الملفوظ الأوّل، فـ "الدّليل الذي يرد بعد (لكن) أقوى من الدّليل الذي يرد قبله، وتكون له الغلبة بحيث يتمكّن من توجيه القول بمجمله، فتكون النّتيجة التي يقصد إليها هذا الدّليل ويخدمها هي نتيجة القول برمّته"[1].

وإذا ما انتقلنا إلى قصص الحديث النّبوي نلمح الرّابط (لكن) بكثرة ولهذا سندرج بعض الأمثلة التي وظّف فيها هذا الرابط، من ذلك:

قصة «الكفل» التي جاء فيها: "**كان الكفل لا يتورع عن ذنب عمله... فقال: ما يبكيك أأكرهتك؟ قالت: لا ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة**"[2].

في هذه القصّة نلمح أنّ الرّابط الحجاجي (لكن) ربط بين حجّتين متناقضتين؛ (أأكرهتك على الزّنا) و(عمل ما عملته قط). والحجّة الثّانية أقوى من الأولى لأنّها هي التي دفعت الكفل إلى التّوبة، ومن ثمّة تحقّق النّتيجة وحصوله على المغفرة من الله تعالى.

وهذا الرّابط يوجّه المتلقي إلى النّتيجة التي يريد النّبي صلى الله عليه وسلم إقناعه بها؛ التّعفّف والتّحصّن أوّلا، وعدم إرغام المرأة على الفاحشة لأجل المال، وعدم استغلال ضعفها وحاجتها ثانيا. بل مساعدتها دون مقابل، لأنّ الفقر والحاجة وحش مفترس يفتك بالمرء ويدفعه إلى القيام بأفعال لا يرضاها.

---

[1] أبو بكر العزاوي، الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري، مجلة دراسات سيميائية، أدبية، لسانية، ص374

[2] أحمد بن حنبل، المسند، ج6، ص 334، 335.

قصّة «أيوب ورجل جراد» والتي جاء فيها: "**بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك**"[1].

تكشف عن عطاء الله تعالى لنبيّه أيّوب عليه السّلام (ألم أكن أغنيتك عمّا ترى)، والثّانية تقوّي الأولى وتدعمها (لا غنى لي عن بركتك). لتوجّه المتلقي إلى عدم الاستغناء عن المولى عزّ وجل حتى وإن كان العبد غنيّا أو عالما أو عابدا فلا غنى لنا جميعا عن بركة الله تعالى. وهذا ما يدفع المتلقي للدّعاء دائما طمعا في البركة، فيقول كما قال موسى عليه السّلام في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[2]. إنّ الحجّة الثّانية الواردة بعد الرّابط (لكن) لا تعارض سابقتها ولكنّها أقوى منها؛ فالأولى

قصّة «طلب النّصرة» والتي جاء فيها: "**كان الرّجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصدّه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصدّه ذلك عن دينه، والله ليتمّنّ هذا الأمر حتى يسير الرّاكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذّئب على غنمه، ولكنّكم تستعجلون**"[3].

في هذه القصّة تتعارض الحجّتان؛ فالأولى تتمثّل في صبر المؤمنين فيمن قبلنا (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ...)، أمّا الثّانية فتبدو في عدم صبر المسلمين واستعجالهم للنصّر (تستعجلون)، وما يؤكّد ذلك بداية القصّة

---

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 350 (رقم الحديث 3391).

[2] سورة القصص، الآية 24.

[3] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب المناقب، ص 402 (رقم الحديث 3612).

"عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسّد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟"[1].

والرّابط (لكن) يوجّه المتلقي إلى عدم الاستعجال في الأمر والصّبر على المحن، لأنّ النّصر آت لا محالة، وهذه نتيجة يؤكّدها قوله: (والله ليتمّنّ هذا الأمر).

وهذه النّتيجة تدفع المستمع إلى التّحلّي بالصّبر لأنّه مفتاح الفرج لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[2].

وليس المقصود هنا أصحابه فحسب، بل جميع المسلمين في كل زمان ومكان، فما علينا إلا العمل والصّبر إلى أن يورث الله أرضه لمن يشاء من عباده لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[3].

رابعا: العوامل الحجاجيّة

تمهيد:

إنّ الحجاج في اللغة هو "أن يقدّم المتكلم قولا (ق1) أو (مجموعة من الأقوال) موجّهة إلى جعل المخاطَب يقبل قولا آخر (ق2) أو (مجموعة أقوال أخرى) سواء أكان (ق2) صريحا أم ضمنيّا"[4] .

وهذا يعني أنّ الحجاج مسجّل في بنية اللغة ذاتها وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغيّة مقاميّة، فهو محكوم بقيود لغويّة؛ إذ لابدّ أن تتوفّر في الحجّة (ق1) شروط محدّدة حتى تؤدّي إلى (ق2)[5]. وهذه القيود ما هي إلا عناصر

---

[1] المصدر نفسه، ج2، كتاب المناقب، ص 402 (رقم الحديث 3612).

[2] سورة آل عمران، الآية 120.

[3] سورة الأنبياء، الآية 105.

[4] شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 360.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 360، 361.

لغويّة يتم تشغيلها في الخطاب حتى توجّهه وجهة معيّنة تستجيب لمراد المتكلّم، من ذلك الروابط التي ذكرناها آنفا والعوامل التي سنخصّص لها هذا الجزء من البحث.

1- تعريف العوامل:

العوامل الحجاجيّة هي التي "تقوم بالرّبط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه، فهي على هذا موصل فوضوي، وهي بهذا تحمل المكوّنات داخل الفعل اللغوي، فيبقى هذا الفعل ملتحما"[1]. أي أنّها "لا تربط بين متغيّرات حجاجيّة (بين حجّة ونتيجة أو بين مجموعة حجج ...) ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة التي تكون لقول ما، وتضمّ مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربّما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما ... إلاّ، وجل أدوات القصر"[2].

2- وظيفة العوامل الحجاجيّة:

بما أنّ اللغة تحمل في طيّاتها وظيفة حجاجيّة، والتسلسلات الخطابية محدّدة بواسطة بنية الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج من بينها العوامل التي تلعب دورا هامّا في توجيه القول.

والمقصود بالتّوجيه هو "كل ما يستدعي في الجملة حضور الوظيفة الحجاجيّة وبموجب ذلك التّوجيه تخدم الحجّة فئة معيّنة من الخلاصات"[3]. فهو الوجهة المقدّمة من القول قصد التّوصّل إلى فئة معيّنة من الاستنتاجات[4].

---

[1] رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية، ص 234.

[2] أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 199.

[3] جاك موشلير، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 315.

[4] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، ص 109.

وبناء عليه فالعامل الحجاجي "إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معيّن يؤدّي إلى تحويل الطاقة الحجاجيّة لهذا الملفوظ"[1]. ولتوضيح الأمر أكثر ندرج هذين المثالين[2]:

– السّاعة تشير إلى الثامنة.

– لا تشير السّاعة إلا إلى الثّامنة.

نلاحظ أنّه عندما دخل العامل الحجاجي (لا ... إلا) لم ينتج عن ذلك أيّ اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخباريّة أو المحتوى الإعلامي، ولكنّ الذي تأثّر بهذا التّعديل هو القيمة الحجاجيّة للقول، أي الإمكانات الحجاجيّة التي تتيحها، فإذا أخذنا القولين التّاليين:

– السّاعة تشير إلى الثّامنة، أَسْرِعْ.

– لا تشير السّاعة إلا إلى الثّامنة، أَسْرِعْ.

نجد أنّ القول الأوّل سليم ومقبول تماما، أمّا القول الثّاني فيبدو غريبا ويتطلّب سياقا خاصّا حتى نستطيع تأويله.

وإذا عدنا إلى المثال السّابق (السّاعة تشير إلى الثّامنة) فسنجد له إمكانات حجاجيّة كثيرة فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل: الدّعوة إلى الإسراع، التّأخّر والاستبطاء، هناك متّسع من الوقت، موعد الأخبار... وبعبارة أخرى، فهو يخدم نتيجة من قبيل: (أَسْرِعْ)، كما يخدم النّتيجة المضادّة لها (لا تسرع)، لكن عندما أدخلنا عليه العامل الحجاجي (لا... إلا) فإنّ إمكاناته الحجاجيّة تقلّصت وأصبح الاستنتاج العادي والممكن هو: لا تشير السّاعة إلا إلى الثّامنة، لا داعي إلى الإسراع.

---

[1] رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية، ص 235.

[2] ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 28، 29.

3- العوامل الحجاجيّة في القصّة النّبويّة:

العامل الحجاجي كما قلنا سابقا هو "صرفة تحوّل الاحتمالات الحجاجيّة للمضمون المطبّقة عليه، وتمدّ العبارات المتغيّرة بإمكانيّة استعمالها لغاية حجاجيّة"[1]. ولذا فهو لا يربط بين الحجّة والنّتيجة، "بل تتقيّد الجملة بعده بإمكانيّات حجاجيّة ويتمّ الإسناد فيها في بعض الأساليب كالحصر والتّأكيد والاستثناء والنّفي والشّرط وبعض الأدوات مثل: ربّما، تقريبا، كاد وقليلا، وكثيرا وغيرها"[2].

وقد وظّف النّبي صلى الله عليه وسلم مجموعة من العوامل الحجاجيّة في قصصه، سندرج بعض منها على سبيل المثال لا الحصر، من ذلك:

أ- العامل الحجاجي إنّما:

(إنّما) هي في الأصل مركّبة من (إنّ) و(ما)، وبمجرّد دخول (ما) على (إنّ) التّوكيديّة حتى "تغيّرت دلالتها على التّوكيد، من كونه توكيدا عاديّا إلى كونه توكيدا قاصرا أو حاصرا"[3]. ويرى الجرجاني أنّ (إنّما) يؤتى بها لخبر لا يجهله المخاطَب ولا يدفع صحّته، ولكن لمن يعلمه ويقر به[4].

ولهذا وظّفها النّبي صلى الله عليه وسلم في قصصه لما لها من طاقة حجاجيّة في تنبيه المتلقي لما يريد، ففي قصّة «الأبرص والأقرع والأعمى» التي جاء فيها: "... **فقال: أمسك مالك، فإنّما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك**"[5].

---

[1] محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 112.

[2] خديجة بوخشة، حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، الدار الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2015، ص334.

[3] مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 2003، ص 238.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، ط1، 2005، ص 222.

[5] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 372 (رقم الحديث 3464).

لعب العامل الحجاجي (إنّما) دورا واضحا في تحوير المسار الحجاجي للقصّة، فالمقصود هنا ليس توجيه المسلم إلى التّصدّق لقوله: (أمسك مالك) فهي أمر معلوم، ولكن الجديد الذي أفاده هذا العامل هو تنبيه المتلقي لحقيقة الابتلاء وأشكاله في الدّنيا؛ فقد يكون في الصّحّة فيمسّ أي عضو من أعضاء الجسم، أو قد يكون في المال على اختلاف أنواعه (نقود، عقارات، وسائل نقل، غنم أو بقر ...). ومن ثمّة تدفعه إلى حمد الله وشكره على نعمه وآلائه حتى تدوم وتزيد.

وفي قصة «الملائكة الطوافون» "...**قال: يقولون: رب فيهم فلان عبد خطاّء إنما مرّ فجلس معهم. فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**"[1].

نجد أنّ العامل (إنّما) أثبت مغفرة الله تعالى للعبد الجالس مع أهل الذّكر بالرّغم من كونه خطّاء وليس منهم، إلا أنّها نفت عنه الخطايا لأنّها "تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه"[2]. وذلك تنبيها للمخاطَب بأن يجالس أهل الذّكر حتى وإن لم يكن منهم لينوله ما نالهم من مغفرة وعفو ورحمة وسكينة، فتدفع به على الفور إلى مصاحبتهم والتزام مجلسهم.

وفي قصة «جرّة الذّهب» التي يقول فيها ﷺ: "... **فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك منّي، إنّما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذّهب! وقال الذي له الأرض: إنّما ابتعتك الأرض وما فيها...**"[3].

يوجّه هذا العامل (إنّما) القول توجيها حجاجيّا ليكشف عن مقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يسعى إلى إقناع المخاطَب به ودفعه على ممارسته؛ ألا وهو

---

[1] البخاري، الصحيح، ج4، كتاب الدعوات، ص 162 (رقم الحديث 6407).

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص 291.

[3] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 375 (رقم الحديث 3472).

الصّدق والإخلاص عند البيع والشّراء وفي سائر التّعاملات الماليّة اليوميّة، وذلك يؤدّي بطبيعة الحال إلى اجتناب الكذب والغشّ والتّدليس والاحتكار وغيرها من المعاملات التّجاريّة التي تتعارض مع ديننا الحنيف.

فهذا العامل نبّه المسلم للذي يجب فعله عند البيع والشّراء؛ التّحلّي بالخصائل المحمودة من أمانة وصدق وتقوى وإخلاص ... والتّخلّي عن الصّفات المذمومة من غش وخداع ومكر وكذب... وذلك لكون التّعاملات الماليّة شريان الحياة في المجتمع، فإذا اختلّت اختلّ التّوازن وتهدّم البنيان أجمعه.

وفي قصة «الغلام» التي يقول فيها ﷺ: "... **فقال له الملك: أي بنيّ قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال: إنّي لا أشفي أحدا، إنّما يشفي الله ...**"[1].

يحصر العامل الحجاجي (إنّما) القول فيجعل الشّفاء لله تعالى وحده، فـ "العوامل الحجاجيّة لا تقيّد قسم الحجج لكنّها تحصر المسار الحجاجي الذي يمكّننا من بلوغها"[2]. وهذا ما أراد النّبي صلى الله عليه وسلم إقناع المخاطَب به؛ الإخلاص لله عز وجل عند معارضة الحاكم أو الثّورة ضدّه أو السّعي إلى تغييره، وذلك يدفع إلى تجنّب الحظوظ الدّنيويّة من طلبٍ للسلطة والجاه والمال... التي قد تدمّر المجتمعات دون فائدة ترجى.

---

[1] مسلم، الصحيح، ج2، كتاب الزهد والرقائق، ص 711 (رقم الحديث 3005).

[2] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2011، ص 112.

ب- العامل الحجاجي (لم ... إلا / ما ... إلا):

يعدّ هذا العامل من طرق القصر في اللغة العربية، والقصر لغة الحبس. وفي الاصطلاح تخصيص أمر بأمر بأسلوب معيّن أي حبسه عليه وجعله ملازما له. وهو أداة توكيد وتخصيص[1]. إضافة إلى الإثبات والتّوكيد يخصّص صفة معيّنة بموصوف معيّن، وهذا ما جعله "من التّراكيب التي تترتّب فيها الحجج حسب درجة قوّتها الحجاجيّة، حيث يوجّه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض وهذا ما يستثمره المخاطِب عادة لإقناع المخاطَب بفعل شيء ما"[2].

استخدم النّبي صلى الله عليه وسلم هذا العامل بصيغة (لم ... إلا) في قصصه لإقناع متلقيه بنتيجة ما ودفعه للقيام بعمل ما، ومن أمثلة ذلك:

قصة «المتجاوز على المعسر» والتي جاء فيها: "**حوسب رجل ممّن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنّه كان يخالط النّاس وكان موسرا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: نحن أحقّ بذلك منه، تجاوزوا عنه**"[3].

في هذه القصّة قام العامل الحجاجي (لم ... إلا) بتحويل الطّاقة الحجاجيّة لهذا الملفوظ، وحصر عمل هذا الرّجل الخيري في شيء واحد بسيط جدا، ألا وهو التّجاوز عن المعسر، فهو لم يفعل من الخير غير هذا، وكانت النّتيجة التّجاوز عنه يوم القيامة.

---

[1] وليد قصاب، البلاغة العربية، علم المعاني، دار القلم للنشر والتوزيع، الإمارات، ط1، 1998، ص 161.

[2] الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ص 262.

[3] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 370 (رقم الحديث 3451).

فالنّبي صلى الله عليه وسلم استعمل هذا العامل ليوجّه المتلقي إلى فعل الخير، وإن تعدّدت وجوه الخير؛ ففعل واحد يكفي لنوال المغفرة والرّحمة والتّجاوز، وهذا يدفعه إلى عدم احتقار أيّ فعل مهما كان بسيطا مادام فيه خير ومنفعة للآخرين.

قصّة «سليمان ونسائه» والتي جاء فيها: "**قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه: إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله. فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون**"[1].

وجّه العامل الحجاجي هنا الملفوظ نحو الانخفاض، فمن أمل سليمان –عليه السّلام– في إنجاب فرسان يجاهدون في سبيل الله تعالى إلى إنجاب نصف إنسان، فلم يرزق حتى إنسانا كاملا؛ إذ أقسم (سليمان عليه السّلام على أن يطأ في ليلته تسعة وتسعين امرأة أو مائة، تلد كلّ واحدة منهنّ فارسا يقاتل في سبيل الله) ولكنّ أمله لم يتحقّق وحنث في قسمه، ولم يولد له إلا نصف إنسان.

وقد بيّن الرّسول صلى الله عليه وسلم أنّ السّبب في ذلك عدم قوله: (إن شاء الله)، على الرّغم من تذكير الملك له بأن يقولها، ويبدو أنّه كان مشغولا بأمور جعلته يغفل عن قولها، ليمضي قدر الله فيه، ولو قالها لم يحنث في يمينه ولتحقّق مراده كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

فهذا العامل (لم ... إلا) وجّه المتلقي إلى الهدف الذي يرمي إليه النّبي صلى الله عليه وسلم وهو إقناعه بتعليق "أموره المستقبليّة بمشيئة الله وإذنه، فهذا سليمان –عليه

[1] المصدر السابق، ج2، كتاب الجهاد والسير، ص 210 (رقم الحديث 2819).

[2] ينظر: الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 145.

السلام– نبي الله يحرم من تحقيق مراده وغايته النّبيلة من إنجاب مجاهدين في سبيل الله بسبب نسيانه التّعليق بمشيئة الملك الوهّاب"[1]. ومن ثمّة دفعه إلى قولها دائما (إن شاء الله) عند الحديث عن أيّ عمل في المستقبل.

قصة «الكفل» التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**كان الكفل لا يتورع عن ذنب عمله ... فقال: ما يبكيك أأكرهتك؟ قالت: لا ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة ...**"[2].

إنّ الرابط الحجاجي (ما...إلا) حصر السّبب الذي دفع هذه المرأة لارتكاب المعصية، وهو الحاجة الماسّة إلى المال، وبذلك فهو يوجّه المتلقي إلى حماية المرأة وبالتّالي الحفاظ على المجتمع من الوقوع في مستنقع الرّذيلة، وذلك بمساعدة المرأة سواء أكانت أرملة أم مطلّقة أم فقيرة أم محتاجة، وعدم استغلال أوضاعهنّ المزرية.

خامسا: المقتضى المعجمي ودوره الحجاجي

تمهيد:

لا ينحصر دور اللغة في كونها أداة إبلاغ فقط، بل هي أداة عمل أيضا وهي مهيّأة جدّا لهذه الوظيفة، إنّها تحمل في ذاتها وبين طيّاتها وظيفة حجاجيّة تتوزّع عبر جميع مستوياتها ما يدل على وجود إمكانات طبيعيّة أخرى إلى جانب السّلالم والروابط والعوامل الحجاجيّة تساند المتكلم في توجيه خطابه وجهة ما تمكّنه من تحقيق أهدافه الحجاجيّة.

---

[1] حافظ محمد بادشاه، القصة النبوية، أهدافها وخصائصها الفنية، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع22، 2015، ص 141.

[2] أحمد بن حنبل، المسند، ج6، ص 334، 335.

فـ "القيمة الحجاجيّة لقول ما ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدّمها فحسب، بل إنّ الجملة بإمكاناتها أن تشتمل على مورفيمات وتعابير أو صيغ، والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباري فهي تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول وتوجيه المتلقي في هذا الاتّجاه أو ذاك"[1].

من ذلك اختيار كلمة دون أخرى أو تركيب معيّن دون آخر، وهذا ما يطلق عليه المقتضى الذي يعتبر أداة حجاج ناجعة، وقد يحصل حسب (ديكرو) "من التّركيب وهو أمر بديهي، ولكنّه يحصل في رأيه أيضا من الكلمة"[2]. فإذا حصل من الكلمة يطلق عليه المقتضى المعجمي، وإذا حصل من التّركيب يطلق عليه المقتضى التّركيبي، وسواء نجم "عن وحدة معجميّة أو عن التّركيب فهو في معظم الأحيان ممّا يصمد أمام النّفي. ومن أجل ذلك تصاغ عادة المعلومات التي نروم فرضها على سامعينا في شكل مقتضيات"[3].

وبناء عليه فالمقتضى المعجمي هو ما ينشأ عن معنى الكلمة المعجمي، "ويشكّل محتواه ملفوظا ضمنيّا يقبع تحته المحتوى الملفوظ المنطوق، وهو يسم الملفوظ الذي يحمله بميسم دلالي وحجاجي خاص (وقع الكلمة المعنوي)"[4]. وكمثال على ذلك: "كلمة (يرفض) في جملة (يرفض فلان أن ينام) تقتضي أنّه طُلب إليه أن ينام، وهو مقتضى ناجم رأسا عن معنى يرفض"[5].

---

[1] Ducrot, les échelles argumentatives, p 15.

[2] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 35.

[3] المرجع نفسه، ص 89.

[4] ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي، ص 285.

[5] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 89.

وهذا يعني أنّ المقتضى مأتاه الكلمة سواء أكانت اسما أم فعلا أم صفة باعتبارها "وحدات معجميّة – صرفيّة – إعرابيّة معًا لها في ذاتها مقتضى، ذلك أنّها المسؤولة عن ظهور المقتضى في تراكيب الخطاب انطلاقا من معناها المعجمي، ومن ثَمّ فهي مؤهّلة لتكون ذات صبغة حجاجيّة"[1].

وفي هذا الجزء من البحث سوف نسلط الضّوء على المقتضى المعجمي للكلمة وبعده الحجاجي في قصص الحديث النّبوي مركّزين على الأسماء والصفات والأفعال؛ كل واحدة منهم على حده.

1- المقتضى المعجمي للأسماء:

يمثّل المقتضى مضمون الكلمة أو الوحدة المعجميّة، وهو وسيلة ناجعة للحجاج لأنّه حين "تقتضي شيئا ما بصفتك المتكلم، تعتبر حقيقة ذلك الشّيء على أنّها ممّا لا مراء فيه وتقدّر أنّ تلك الحقيقة هي في نظر المتلقي أيضا ممّا لا جدال فيه"[2].

وإذا انتقلنا إلى قصص الحديث النّبوي فإنّ ما يلفت انتباهنا أسماء الأنبياء والرّسل التي وظّفها النّبي صلى الله عليه وسلم بكثرة؛ إذ يقارب عدد القصص التي تعرّضت لهم الخمسين قصّة ناهيك عن المواضع التي ذكرت فيها أسماؤهم فقد تتجاوز الأربعة وثمانين موضعا.

وذِكْر أسماء الأنبياء بالتّحديد كمحمد صلى الله عليه وسلم، موسى، عيسى، إبراهيم، آدم، نوح ... لم تقصد لمجرّد مسمّياتها اللفظيّة، وإنّما لمقتضياتها ذات البعد الحجاجي التي تلعب دورا كبيرا في إقناع المتلقي بالنّتيجة المرجوّة، ولتوضيح الأمر أكثر ندرج بعض الأمثلة، من ذلك:

---

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 285.

[2] المرجع نفسه، ص 118 (الهامش).

قصّة «محاججة موسى آدم» والتي جاء فيها: "**احتجّ آدم وموسى فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنّة. فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثمّ تلومني على أمر قُدّره عليّ قبل أن أخلق؟ فقال النّبي صلى الله عليه وسلم فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى**"[1].

في هذه القصّة ذكر النّبي صلى الله عليه وسلم اسمي آدم وموسى –عليها السّلام– والمقتضى الذي دلّ عليه اسمهما أنّهما من الأنبياء والمرسلين؛ فآدم –عليه السّلام– غلب بحجّته الدّامغة موسى –عليه السّلام–، فخطيئته لم تكن سبب خروجه وخروجنا من الجنّة، ولكنّها مشيئة الله تعالى قبل خلقه أصلا. فإذا كان موسى وهو نبي مرسل أُفْحم بهذه الحجّة وسُدّت عليه كل منافذ الشّك، فالأولى بنا نحن أن نقتنع بهذه النّتيجة؛ خروج آدم وذرّيّته من الجنّة كان قدرا مقدورا.

وعليه فالمقتضى المعجمي لاسميْهما أدّى إلى إقناع المخاطَب بمراد النّبي صلى الله عليه وسلم؛ عدم الخوض في هذه المسألة مجدّدا وتجنّب اتّهام أبونا آدم –عليه السّلام– أو أمّنا حوّاء بذلك.

قصّة «موسى والخضر» والتي جاء فيها: "**قام النّبي موسى خطيبا في بني إسرائيل فسئل أيّ النّاس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه فأوحى الله إليه أنّ عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك ...**"[2].

إنّ المقتضى المعجمي لاسم موسى –عليه السّلام– هو المقصود في هذه القصّة وليس اللفظ المنطوق؛ فهو وإن كان نبيّا عوتب على نِسْبة العلم لنفسه، أضف إلى

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 358 (رقم الحديث 3409).

[2] المصدر نفسه، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 354، 355 (رقم الحديث 3401).

ذلك فهو نبيّ ولم تمنعه نبوّته ومكانته من اتّباع وليّ صالح علّمه الله –عز وجل– من علمه اللدني.

فهذا المقتضى (نبي) لعب دورا كبيرا في إقناع المخاطَب بعدم التكبّر بعلمه وإن بلغ فيه ما بلغ، فهو لن يبلغ مقام نبي. ودفعه لاتّباع أهل الله وخاصّته – أوليائه الصّالحين– والتّعلّم منهم ممّا علّمهم الله. فحتى نبي الله تَعَلّم على يد ولي، ولم تمنعه نبوّته من ذلك، فكيف بنا نحن نتجاسر على أولياء الله تعالى؟

قصّة «موسى وملك الموت» والتي جاء فيها:

"**أرسل ملك الموت إلى موسى –عليهما السلام– فلمّا جاءه صكّة*، فرجع إلى ربّه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطّت يده بكل شعرة سنة، قال: أيْ ربّ ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ الموت، قال: فالآن. ثمّ سأل ربّه أن يدنيه من الأرض المقدّسة رمية بحجر. قال أبو هريرة: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كنت ثَمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطّريق تحت الكثيب الأحمر**"[1].

في هذه القصّة ينطوي الملفوظ (موسى) على مقتضى معجمي جعله ذو بعد حجاجي قصد به النّبي صلى الله عليه وسلم إقناع المخاطَب بأنّ الموت حق لابدّ منه، ولو نجا منه أحد لنجا منه أنبياؤه ورسله، فحتى موسى –عليه السّلام– حاول الفرار منه ولكنّه لم يفلح، لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[2]. وهذه الحقيقة اليقينيّة

---

*صكّه: لطمه. ينظر: الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 98.

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 357 (رقم الحديث 3407).

[2] سورة آل عمران، الآية 185.

تدفع المتلقي للعمل من أجل آخرته لأنّها هي الدّار الباقية والخالدة، أمّا الدّنيا فدار فانية.

فموسى عليه السّلام لمّا أتاه ملك الموت "وطلب منه أن يجيب ربّه، وكان ذلك إيذانا بأنّ أجله قد حضر، وأنّ ساعته قد دنت ... فما كان منه إلا أن لطم وجه الملك ففقأ عينه، أي عينه البشريّة التي تمثّل بها، وإلا فلو كان في صورته الملائكيّة لما استطاع موسى لطمه وما قدر عليه"[1]. فشكا ملك الموت ذلك إلى ربّه فردّ عليه عينه، وأمره أن يرجع إلى موسى ويمدّد له عمره بقدر ما تغطّي يده ظهر ثور، بحيث يكون له بكل شعرة سنة. ثمّ يكون بعد ذلك الموت الذي لا مفر منه، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2].

قصة «عيسى والسارق» والتي جاء فيها: "**رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو قال عيسى آمنت بالله وكذبت نفسي**"[3]

اتّكأ النّبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصّة على الوظيفة الحجاجيّة للمقتضى المعجمي للاسم (عيسى) ليجعل مستمعه يذعن للفكرة المطروحة؛ عدم محاسبة النّاس بعضهم بعضا لأنّ ذلك متروك لله تعالى، فعيسى عليه السّلام كذّب عينيه وصدّق السّارق الذي أقسم بالله العظيم على أنّه لم يسرق، وليس معنى ذلك أنّه لا يفرّق بين الصّادق والكاذب ولكنّ اسم الله عنده أجلّ من أن يُحلف به كذبا.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم جعل من المقتضى حجّة لإقناع متلقّي الخطاب بالنّتيجة المقصودة؛ فنبيّ الله ورسوله لم يبعث رقيبا على العباد ولا حسيبا، لأنّ الله هو

---

[1] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 99.

[2] سورة القصص، الآية 88.

[3] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 368 (رقم الحديث 3444).

وحده الولي والرّقيب والحسيب وهو "لا يكلّف الرّسل وخاصّة إذا لم يكونوا حكّاما وقضاة محاسبة النّاس ومعاقبتهم"[1]. لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾[2].

وإذا كان أنبياؤه ورسله الذين اختارهم لهداية عباده ليسوا حَسَبَة عليهم، فما بالك بنا نحن؟ فهذه النّتيجة تدفع المتلقّي للإحجام عن هذا الفعل لأنّه ليس من اختصاصه.

إنّ أسماء الأنبياء التي وردت في قصص الحديث النّبوي كثيرة ومع ذلك فهي تشترك جميعا في المقتضى المعجمي، فكلهم أنبياء ورسل وهذا هو المقصود في حجاجه صلى الله عليه وسلم، لأنّ هذا المقتضى يجعل المستمع أو القارئ أكثر اقتناعا وتقبّلا لكل ما يصدر منهم من آراء، وما يتبنّونه من أفكار، وأكثر تأثّرا بما يلتزمون به من مواقف وما يجسّدونه من أفعال، لأنّهم "نخبة الأجيال البشريّة وصَفْوَتِها، وقادتها إلى الحقّ والنّور والحضارة "[3].

2- المقتضى المعجمي للصفات:

تعتبر الصّفة "من الأدوات التي تمثّل حجّة للمخاطِب في خطابه، وذلك بإطلاق المخاطِب لنعت معيّن في سبيل إقناع المخاطَب"[4]. فاختيار صفة معيّنة دون غيرها لا يخلو من قصد حجاجي لأنّها "تمثّل جانبا من الفعل الحجاجي وعلامة عليه، فلا يقتصر المخاطِب على توظيف معناها المعجمي أو تأويله.

---

[1] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 176.

[2] سورة الرعد، الآية 40.

[3] حسن الزير، قصص الحديث النبوي، ص 253.

[4] الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ص 232.

وهذا ما يعطيها الطّواعية والمرونة التي هي من صلب خصائص الخطاب الطّبيعي في الممارسة الحجاجيّة ليمارس المخاطِب لأكثر من فعل واحد؛ بالتّصنيف وبتوجيه انتباه المخاطَب إلى ما يريد أن يقنعه به في حجاجه"[1].

استخدم النّبي صلى الله عليه وسلم مجموعة من الصّفات في قصصه منها: الصّفة المشبهة واسم الفاعل، اسم المفعول وصيغ المبالغة وفيما يلي عرض لبعض منها مع بيان دورها الحجاجي:

أ- اسم الفاعل:

يعرّف اسم الفاعل بأنّه "وصف مشتق من فعل لازم أو متعدّ أو مجرّد أو مزيد أو صحيح أو معتلّ، يدلّ على ذات ووصف قائم بهذه الذّات التي قامت بالفعل أو صدر منها الفعل بشرط أن يكون الوصف قابلا للمفارقة أو متغيّرا، أو على حدّ تعبير أصحاب التّصنيف في أحوال النّفس البشريّة فهو وصف يدلّ على عارض متغيّر لا مقام ثابت"[2]. وهذا الصّنف من الصّفات ذي بعد حجاجي يوجّه المخاطب نحو النّتيجة المتوخّاة، ومن أمثلة ذلك في قصص الحديث النّبوي:

قصّة «الحشر» والتي جاء فيها: "**إنّكم محشورون حفاة عراة غُرْلاً، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾**[3]..."[4].

نهض اسم الفاعل في هذه القصّة (حافي، عاري) بدور حجاجي بارز يتجلّى في توجيه المخاطَب إلى نتيجة مضمرة مؤدّاها: أنّ اللباس الذي يتباهى به الناس في الدّنيا ويتنافسون من أجله لا فائدة ترجى من ورائه يوم القيامة، لأنّ الجميع حفاة

---

[1] المرجع السابق، ص 234.

[2] صبري المتولي، علم الصرف العربي، أصول البناء وقوانين التحليل، دار غريب، القاهرة، دط، دت، ص43.

[3] سورة الأنبياء، الآية 104.

[4] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 338 (رقم الحديث 3349).

وعراة. إلا لباسا واحدا يكسي صاحبه ذلك اليوم؛ لباس التّقوى، لقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾[1].

فالمقتضى المعجمي لاسم الفاعل هنا يدفع المخاطَب إلى الاتّصاف بالتّقوى في الدّنيا حتى يكسوه تعالى يوم الآخر، فعلى مقدار التّقوى يكسى النّاس، يقول صلى الله عليه وسلم: "بينا أنا نائم رأيت النّاس يُعرضون عليّ وعليهم قمُص منها ما يبلغ الثّدي ومنها ما دون ذلك، وعُرض عليّ عمر بن الخطّاب وعليه قميص يجرّه، قالوا: فما أوّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدّين"[2].

قصّة «المتكلمين في المهد» التي جاء فيها: "... **وكان جريج رجلا عابدا فاتّخذ صومعة فكان فيها ...**"[3].

استخدم النّبي صلى الله عليه وسلم صفة (عابد) في هذه القصّة ليسم بها الشّخصيّة المحوريّة فيها (جريج) ونجد أنّ هذا الصّنف من الصّفات يوجّه المتلقي إلى نتيجة مقصودة بالتّحديد هي عبادة الله عزّ وجل حقّ العبوديّة، ويدفعه للعمل من أجل أن يكون عابدا.

فهذه الصّفة (عابد) هي التي نجّت جريج من كيد الزّانية وظلم قومه السّفهاء الذين اتّبعوها لأنّه من كان عابدا مخلصا لا يقدر عليه أحد، لقوله تعالى في الحديث القدسي: "من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب ..."[4].

---

[1] سورة الأعراف، الآية 26.

[2] البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص 12.

[3] مسلم، الصحيح، ج2، كتاب البر والصلة والآداب، ص 511 (رقم الحديث 2550).

[4] البخاري، الصحيح، ج4، ص 182.

* المدرى: أداة من الأدوات يسرح بها الشعر، مصنوعة من الحديد أو الخشب على شكل سن من أسنان المشط، وأطول منه، يسرح به الشعر المتلبد، ويستعمله من لا مشط له. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج2، ص115.

قصة ماشطة ابنة فرعون والتي جاء فيها: "**لمّا كانت الليلة التي أسري بي فيها أتت عليّ رائحة طيّبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرّائحة الطّيّبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشّط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المِدْرى* من يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكنّ ربّي وربّ أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته فدعاها فقال: يا فلانة وإنّ لك ربّا غيري؟ قالت: نعم، ربّي وربّك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأُحْمِيَت ثمّ أمر بها أن تُلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إنّ لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحبّ أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لكِ علينا من الحقّ. قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدا واحدا إلى أن انتهى ذلك إلى صبيّ لها مُرْضِعٍ، وكأنّها تقاعست من أجله، قال: يا أمّه اقتحمي فإنّ عذاب الدّنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت**"[1].

في هذه القصّة ذكر النّبي صلى الله عليه وسلم الصّفة؛ ماشطة ابنة فرعون دون تسميتها بمسمّاها الحقيقي (سارة مثلا أو مريم أو ...)، وذلك للمقتضى المعجمي لهذا الملفوظ والذي وسمه بميسم حجاجي قُصِد به التّأثير في المتلقي.

والمقتضى المعجمي لهذه الصّفة يتمثّل في كون هذه المرأة خادمة لابنة ملك ما يلزمها الطّاعة العمياء لسيّدتها وسيّدها (والدها)، وتجنّب كل ما يغضبهما خوفا من عقابهما. ولكن الحقيقة عكس ذلك حيث وقفت هذه المرأة الضّعيفة أمام فرعون الطّاغية وكفرت به وصبرت على عذابه الشّديد، لتكون نموذجا فذّا للمسلمين وخاصّة في بداية الدّعوة الإسلاميّة.

[1] أحمد بن حنبل، المسند، ج3، ص 309.

"إنّه الأنموذج الذي يمثّل استعلاء الإيمان أمام الكفر والطّغيان، الإيمان المجرّد من السّلاح والقوى البشريّة، يظهره المرء على الرّغم من تبعاته الجسام، والمعاناة التي سيعانيها صاحبه ولكنّه يطمع من وراء ذلك أن ينال حياة كريمة عند الله في جنّات النّعيم"[1].

وكأنّ بالنّبي صلى الله عليه وسلم يقول لنا: ألا تستطيعون أن تكونوا مثل ماشطة ابنة فرعون؟ فبالرّغم من كونها امرأة ضعيفة وخادمة في قصر الملك الذي يملك زمام أمرها وأمر أسرتها، إلا أنّها وقفت وقفة بطوليّة قد يعجز عنها الرّجال؛ آمنت بالله وكفرت بفرعون وأعلنت ذلك صراحة دون خوف أو خشية، ولم يثنها ضعفها ولا العذاب الذي توعّدها به عن ذلك بل صبرت صبرا عظيما وتحمّلت ما لا يطاق – حرق أبنائها أمام عينها– في سبيل الله تعالى. فالمقتضى المعجمي هنا لعب دورا كبيرا في إقناع المتلقي بالصّبر على الأذى ودفعه إلى تحمّل الشّدائد في سبيل الله وعدم الخوف من الكفرة مهما كانت سلطتهم وقوّتهم.

ب– صيغ المبالغة:

تعرّف صيغ المبالغة بأنّها "صيغ مشتقة من الفعل للدّلالة على الحدث وفاعله دلالة تفيد التّكثير والمبالغة"[2]. ويتمثّل دورها الحجاجي في توجيه الخطاب الوجهة التي يريدها المتكلم "باعتبارها أوصافا تستلزم فعلا معيّنا ذا درجات سلّميّة"[3]. ومن أمثلة ذلك في قصص الحديث النّبوي:

---

[1] الأشقر، صحيح القصص النّبوي، ص 291.

[2] سيف الدين طه الفقراء، المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية، دراسة صرفية دلالية إحصائية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2005، ص 17.

[3] ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي، 282.

قصّة «موسى والحجر» والتي جاء فيها: "**إنّ موسى كان رجلا حييّا ستّيرا لا يُرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التّستّر إلا من عيب بجلده إمّا برص وإمّا أُدْرَة وإمّا آفّة، وإنّ الله أراد أن يبرّئه ممّا قالوا لموسى، فخلا يوما وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثمّ اغتسل، فلمّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه ممّا يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إنّ بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا**"[1]، **فذلك قوله:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾[2].

نلمح في هذه القصّة وجود صيغ مبالغة (حييّ، ستّير) وهي تكشف عن شدّة حياء موسى –عليه السّلام– وقمّة تستّره إلى درجة اتّهامه بالنّقص "فزعموا كذبا وزورا أنّ سبب استتاره عنهم وجود عيب في جسده يخفيه، إما انتفاخ في خصيته وهو الأدرة، أو برص في جسده وهو مرض يقذر النّاس صاحبه، أو آفّة من الآفات التي يسوؤه رؤية النّاس له"[3]. ولكنّ الله تعالى برّأه مما يفترون.

وقد انتقى النّبي صلى الله عليه وسلم هاته الصّيغ ليوجّه المسلم إلى خلق كريم دعا إليه الإسلام؛ ألا وهو الحياء الذي يمثّل "... شعبة من شعب الإيمان"[4]. ويدفعه للاتّصاف به حتى يصبح صفة راسخة فيه، وكل ذلك من أجل تكوين شخصيّة

---

[1] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 356 (رقم الحديث 3404).

[2] سورة الأحزاب، الآية 69.

[3] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 93.

[4] مسلم، الصحيح، ج1، ص 42.

إسلاميّة "ذات بنية نفسيّة وسلوكيّة سويّة ومتوازنة تتميّز بأفضل الممارسات الأخلاقيّة"[1]

3- المقتضى المعجمي للأفعال:

إنّ المقتضى هو ما ينشأ عن معنى الوحدة المعجميّة سواء أكانت اسما أم فعلا وذلك لما توفّره من طاقة حجاجيّة تساند المتكلّم وتدعمه في حجاجه. وقصص الحديث النبوي تحتوي على مجموعة من الأفعال تحمل بين طيّاتها الدّلاليّة مقتضيات ذات أبعاد حجاجيّة توجّه المخاطَب حسب مراد المتكلم. ولتوضيح ذلك أكثر ندرج بعض القصص:

قصّة «الرجل والخسف» والتي جاء فيها: "**بينما رجل يجرّ إزاره من الخيلاء خسِف به، فهو يُجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**"[2].

نهض الفعل (يجرّ) في هذه القصّة بدور حجاجي يتمثّل في دفع المتلقّي إلى تجنّب الكبر والعجب والخيلاء، لأنّ العظمة والكبرياء من صفات الله – عز وجل- التي لا ينازعه فيها أحد لقوله في الحديث القدسي: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النّار"[3]. وما حدث لهذا الرّجل دليل على ذلك لأنّه "خرج يمشي مختالا بين قومه، يتهادى في مشيته ويجرّ إزاره من خلفه، فأغضب ربّه عليه، فخسف به الأرض كما فعل بقارون من قبله"[4].

فالنّبي صلى الله عليه وسلم بتوظيفه هذا الفعل يوجّهنا إلى تجنّب العجب؛ سواء أكان بالجسد وامتداد القامة ولون البشرة أم بكثرة الأموال والأولاد أو بالجاه والسلطة

---

[1] معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص 144.

[2] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 377 (رقم الحديث 3485).

[3] درويش جويدي، الأحاديث القدسية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 2011، ص 214.

[4] الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 339.

لأنّ نتائجها وخيمة، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[1]. وقوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[2].

قصّة «الحشر» والتي جاء فيها: "... **وأوّل من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السّلام، وإنّ أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشّمال فأقول أصحابي أصحابي، فيقال: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصّالح:** ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[3] "[4].

إنّ الفعل (يُكسى) في هذه القصّة يدل على أنّ العبد يكون عارٍ يوم القيامة بداية الأمر، ثمّ يكسى ثوبا يستره ويغطّيه، وهذا الثّوب صنيعة عمله، فهو نتاج دينه وتقواه في الدّنيا، فالمقتضى المعجمي لهذا الفعل يوجّه المتلقي إلى اتّباع الدّين والاتّصاف بالتّقوى طمعا في كسوة الله تعالى في اليوم الآخر.

قصة «الكفل» التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... **وقال: والله لا أعصي الله بعدها أبدا. فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه: إنّ الله قد غفر للكفل**"[5].

نهض الفعل (لا أعصي) في هذه القصّة بتوجيه المتلقي إلى النّتيجة المرجوّة؛ التّوبة عن المعاصي مهما كانت صغيرة أو كبيرة.

---

[1] سورة الإسراء، الآية 37.

[2] سورة لقمان، الآية 18.

[3] سورة المائدة، الآيتان 117، 118.

[4] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 338 (رقم الحديث 3349).

[5] أحمد بن حنبل، المسند، ج6، ص 334، 335.

إنّ المقتضى المعجمي للأفعال الواردة في قصص الحديث النّبوي ذو بعد حجاجي يوجّه المخاطَب إلى "بناء تصوّر جديد للحياة يتأسّس على اعتبار الدّنيا محطّة للعمل الصّالح ودار مؤقّتة أو مرحلة انتقاليّة يترتّب عليها مصيره في الآخرة، لذلك فمستقبل الإنسان الحقيقي يتحدّد وفقا لنوعيّة سلوكه في الدّنيا، ويعمل هذا التّصوّر على شحن الفرد بمعاني سامية وراقية "[1] تدفعه إلى القيام بأفعال تتماشى ومراد النّبي صلى الله عليه وسلم.

سادسا: المقتضى التركيبي ودوره الحجاجي

تمهيد:

نقصد بالتّركيب هنا؛ التّركيب الإسنادي والذي يعني "أن تركّب كلمة مع كلمة تنسب إحداهما إلى الأخرى... إذا كان لإحداهما تعلق بالأخرى على السّبيل الذي يحسن موقع الخبر وتمام الفائدة"[2]. وبمعنى آخر فهو "ما تشكّلت به الجملة أو ما تعالقت بواسطته الجملتان أو الجمل، وهو بذلك يمثّل مجموع العلاقات القائمة بين المونيمات (الكلمات). وتتمثّل هذه العلاقات في التّركيب الخبري والتّركيب الإنشائي"[3].

ويختلف التّركيب الإنشائي عن نظيره الخبري بما يوفّره للمتكلّم من طاقة حجاجيّة تسانده وتدعمه، إذ كثيرا ما تنبني الحجّة بأسلوب إنشائي وكثيرا ما تعضد الأساليب الإنشائيّة حججا بما توفّره من إثارة وما تستدعيه من عواطف وأحاسيس، فالتّركيب الإنشائي يثير المشاعر ويُشحن من ثمّة بطاقة حجاجيّة هامّة لأنّ إثارة المشاعر ركيزة كثيرا ما يقوم عليها الخطاب الحجاجي[4].

---

[1] معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي، ص 143، 144.

[2] ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص 20.

[3] ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي، ص 302.

[4] ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص 139، 140.

ولهذا غالبا ما يلجأ المتكلم إلى التّركيب الإنشائي وذلك لقدرته على الاستمالة والتّأثير، ولاسيما التّركيب الاستفهامي الذي يؤدّي دورا حجاجيّا هامّا باعتبار مقتضاه لا باعتبار لفظه.

1- التركيب الاستفهامي ودوره الحجاجي:

إنّ الاستفهام في اللغة طلب الفهم، وفي الاصطلاح "يقال: استعلام واستخبار واستفهام إذا وقع ممّن لا يعلم، فإن وقع ممّن يعلم بما يسأل عنه قيل: تقرير وتوبيخ وتبكيت ..."[1]. وهذا يعني أنّ هناك شكلين من الاستفهام، فالجملة الاستفهاميّة هي جملة غير كاملة منطقيّا تطرح سؤالا أو تعبّر عن شكّ وتتّخذ شكلين: أحدهما استفهام مباشر يعتمد على استخدام أدوات الاستفهام، والآخر استفهام غير مباشر يعتمد على استخدام فعل يتضمّن معنى السّؤال أو الاستعلام، أو يكشف عن جهل السّامع[2].

والغاية من كل استفهام سواء أكان حقيقيّا أم غير حقيقي تتمثّل حسب (ديكرو وأنسكومبر) في أن نفرض على المخاطَب به إجابة محدّدة يمليها المقتضى النّاشئ على الاستفهام، فيتم توجيه دفّة الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد ... فالاستفهام يأتي في الكلام لإجبار المخاطَب على الإجابة وفق ما يرسمه له البعد الاستفهامي الاقتضائي[3].

بمعنى أنّ الاستفهام يحمل افتراضات ضمنيّة (غير مصرّح بها) تجعله يحمل طاقة حجاجيّة توجّه القول. وبناء على هذا البعد الحجاجي ميّز (ديكرو وأنسكومبر) في

---

[1] ابن جني، اللمع في العربية، تح: حامد المؤمن، مطبعة العاني، بغداد، دط، دت، ص 355.

[2] ينظر: حسن الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، 2000، ص 352.

[3] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 427.

كتابهما (الحجاج في اللغة) نوعا من الاستفهام، أطلقا عليه الاستفهام الحجاجي، وهو نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجيّة[1].

وهذا ما سنحاول التّركيز عنه في هذا الجزء من البحث؛ الدّور الحجاجي للاستفهام سواء أكان حقيقيّا أم بلاغيّا، وذلك لكثرة وروده في قصص الحديث النّبوي، ولتوضيح الأمر أكثر سنعرض كلا منهما على حده مع إدراج بعض النّماذج.

2- الاستفهام الحقيقي ودوره الحجاجي:

يراد بالاستفهام الحقيقي طلب المتكلم معرفة أمر مجهول لديه أو معرفة ما هو خارج الذّهن، يقول ابن وهب: "ومن الاستفهام ما يكون سؤالا عمّا لا تعلمه لتعلمه"[2].

ويقول السكاكي: "والاستفهام لطلب حصول في الذّهن، والمطلوب حصوله في الذّهن إمّا أن يكون بحكم شيء على شيء أو لا يكون ... فإنّك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش مطابق له"[3].

فالمتكلم "يوقع إذ يستفهم ذلك الفراغ الحاصل في ذهنه ليستدعي الكمال من الطرف المقابل، وإذا كان هذا يوجب أنّ المتكلم في موقع ضعف أمام المخاطَب الممتلك لسلطة المعرفة، فإنّ هذا المخاطَب باعتباره مسؤولا هو ملزم بالجواب ومن هنا كانت دلالة الاستفهام على الإلزام وكان معنى الاستعلاء فيه ومن ثَمّ التّأثير"[4].

واجتماع الإلزام والإمكان في السّؤال يحقّق ضربا من الاعتدال يكون به المستفهم طالبا ملزما مخاطِبه بالجواب، متحاورا متجاوبا معه في الآن نفسه، ويمكنه الإلزام من

---

[1] ينظر: أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 57.

[2] ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، دط، 1969، ص 94.

[3] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 415، 416.

[4] ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي، ص 304.

استدراج مخاطِبه إلى المشكل فتكون له سلطة تقرير موضوع الحوار، ويمكنه ترك فرصة الجواب من دعوة الآخر/ المتلقي إلى التّفاوض[1].

وقد ورد الاستفهام – سؤال/جواب – في قصص الحديث النّبوي وقام المقتضى النّاشئ عنه بدور حجاجي وجّه المخاطَب الوجهة التي يريدها المتكلم، وهذه النّماذج تبيّن ذلك:

قصّة «المسؤولية والجزاء» والتي جاء فيها: "... **رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدّسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد... يدخل ذلك الكلوب في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ به رأسه...قلت:من هذا؟ قالا: انطلق...**

قلت: طوّفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت قالا: نعم. أمّا الذي رأيته يُشَقُّ شِدْقَه فكذّاب يحدّث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة. والذي رأيته يُشْدَخ رَأْسَه فرجل علّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنّهار يفعل به إلى يوم القيامة والذي رأيته في الثَّقْبِ فهم الزّناة. والذي رأيته في النّهر آكلوا الرّبا ..."[2].

إنّ هذه القصّة تكشف عن حوار دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والملكين، يمكن صياغته كالآتي:

---

[1] بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، السؤال البلاغي، الإنشاء والتأويل، دار محمد علي، المعهد العالي للغات، تونس، ط1، 2007، ص 301.

[2] البخاري، الصحيح، ج1، كتاب الجنائز، ص 324 (رقم الحديث 1386).

النّبي صلى الله عليه وسلم: من هذا؟

الملكان: الذي يُشَقُّ شِدْقَه فكذّاب يحدّث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق.

النّبي صلى الله عليه وسلم: من هذا؟

الملكان: الذي يُشْدَخ رَأْسَه رجل علّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنّهار.

النّبي صلى الله عليه وسلم: ما هذا؟

الملكان: الذي رأيته في الثَّقْبِ فهم الزّناة.

النّبي صلى الله عليه وسلم: ما هذا؟

الملكان: الذي رأيته في النّهر آكلوا الرّبا.

في هذا الحوار يسأل النّبي صلى الله عليه وسلم في كل مرّة عن قضايا يجهلها ونجهلها، فيجيبه الملكان إجابات واضحة جليّة تكشف أمور غيبيّة خفيّة، فمعرفة الشّيء تستلزم اتّخاذ قرار تجاهه عكس الشيء المجهول، فمعرفة عقاب كل من الكذاب والزاني وآكل الربا ... تستلزم ابتعادا عنها، وهذا هو مراد النّبي صلى الله عليه وسلم دفع المتلقي إلى تجنّب الكذب والزنا وأكل الربا... للنّجاة من العذاب الحاصل بسببها يوم القيامة.

قصة «هل نرى ربنا» والتي جاء فيها: "...**وفي جهنّم كلاليب مثل شوك السّعدان، وهل رأيتم شوك السّعدان؟ قالوا: نعم، قال: إنّها مثل شوك السّعدان غير أنّه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف النّاس بأعمالهم ...**"[1].

يمثّل السّؤال: هل رأيتم شوك السّعدان؟ المقتضى الذي يشترك في العلم به كل من السائل والمسؤول ويمثّل الجواب قطب الرّحى ودائرة الاهتمام، فإقرار المتلقي بمعرفة

[1] البخاري، الصحيح، ج4، كتاب الرقاق، ص 196 (رقم الحديث 6573).

شوك السّعدان يلزمه الابتعاد عنها لأذاها، وهذا يلزمه الابتعاد عن كلاليب جهنّم لأنّها أكبر وأعظم ما يدفعه لتجنّب كل الأعمال الخبيثة والصّفات الرّذيلة التي قد تؤدّي إليها

3- الاستفهام البلاغي ودوره الحجاجي:

يعدّ الاستفهام البلاغي خروجا وعدولا عن الاستفهام الحقيقي، ويعرّف بأنّه "كل استفهام خرج عن أصل معناه مهما كانت المعاني التي خرج إليها، ومهما كانت أسباب الخروج أو العدول"[1].

وهو الاستفهام الحجاجي أو السّؤال الحجاجي (Question argumentative) الذي ليس استخبارا وطلب جواب بل هو وسيلة حجاج "[2]. فالمتكلم يلجأ لاستعمال الاستفهام البلاغي ليس بحثا عن الإجابة ولكن إقرارا لها، "باعتبار أنّ وظيفة السّؤال لا تتعدّى التّذكير بالجواب نفسه، ومن هنا كان الإقرار بأنّ السّؤال عن الشّيء بلاغيّا يوازي نفيه أو إثباته"[3].

قصة «هل نرى ربنا» والتي جاء فيها: "... **قالوا: يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه حجاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنّكم ترونه...**"[4].

وظّف النّبي صلى الله عليه وسلم الاستفهام التّقريري في هذه القصّة بهدف إقرار المخاطَب بالجواب المحدّد ومن ثمّة الإقرار بما يجهله بناء عليه، فالمستفهِم "إذا لم

---

[1] ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي، ص 308.

[2] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 425.

[3] ابتسام بن خراف، الحجاج في الخطاب السياسي، ص 308.

[4] البخاري، الصحيح، ج4، كتاب الرقاق، ص 196 (رقم الحديث 6573).

يكن جاهلا بما يطلب الإقرار به، فإنّ طلب الإقرار والإلزام يتّسع ليتجاوز الحمل على الإقرار بما يجهله المستفهِم إلى الحمل على الإقرار مطلقا"[1].

فإقرار المخاطَب برؤية القمر ليلة تمامه في الليلة الصّافية دون مشقّة أو تعب، وإقراره أيضا برؤية الشّمس في اليوم المشرق دون مضرّة أو كلل يلزمه الإقرار بحقيقة رؤية المؤمنين لله عزّ وجل يوم القيامة دون ضير ولا ضرر، وهذا يدفعه إلى العمل في الدّنيا من أجل الفوز بهذه الرّؤية في الآخرة، فهي أقصى ما يطمح إليه المسلم لقوله صلى الله عليه وسلم في قصّة أخرى: "**إذا دخل أهل الجنّة الجنّة نادى منادٍ، إنّ لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، قالوا: ألم تبيّض وجوهنا؟ وتنجنا من النّار؟ وتدخلنا الجنّة؟ قال: فيكشف الحجاب. قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحبّ إليهم من النّظر إليه**"[2].

قصّة «نوح وأمّته» والتي جاء فيها: "**يجيء نوح وأمّته فيقول الله تعالى: هل بلّغت؟ فيقول: نعم أي ربّ، فيقول لأمّته: هل بلّغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وسلم وأمّته، فنشهد أنّه قد بلّغ وهو قوله جلّ ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[3]، والوسط العدل**"[4].

في هذه القصّة يورد رسول الله صلى الله عليه وسلم حوارا دار بين المولى عزّ وجلّ ونبيّه نوح عليه السّلام، ويمكن إعادة صياغته كالآتي:

الله عز وجل: هل بلّغت؟

---

[1] بسمة بلحاج، السؤال البلاغي، ص 145.

[2] أحمد بن حنبل، المسند، ج4، ص 332.

[3] سورة البقرة، الآية 143.

[4] البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 333 (رقم الحديث 3339).

نوح عليه السّلام: نعم أي ربّ.

الله عز وجل: من يشهد لك؟

نوح عليه السّلام: محمد صلى الله عليه وسلم وأمّته.

الله عز وجل: هل تشهدون؟

محمد صلى الله عليه وسلم وأمّته: نعم نشهد أنّه قد بلّغ.

إن الله سبحانه وتعالى يعلم أنّ نبيّه نوح – عليه السّلام– قد بلّغ رسالته إلى قومه، فالاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى التّقرير الذي أدّى إليه الافتراض الضّمني (هل تشهدون) ليلزم المخاطَبين – النبي صلى الله عليه وسلم وأمّته– بالإقرار به (نعم نشهد).

وهذا الإقرار يستلزم منّا أن نكون أمّة وسطا مؤهّلين للشّهادة، وهذا يُلزمنا اتّباع الصّراط المستقيم؛ وهذا هو مراد النّبي صلى الله عليه وسلم توجيه المتلقي إلى السّير وفق المنهج الرّبّاني المسطّر في القرآن الكريم وترجمته حقيقة فعليّة وحركة عمليّة وتفاعل اجتماعي وسلوك يومي، ينبئ عن فهم عميق للوسطية وقدرة كبيرة على تجسيدها في الحياة اليوميّة.

خاتـــــــــــــــــــــمة

حاولنا في هذا البحث دراسة الحجاج في قصص الحديث النّبوي، وذلك للكشف عن القدرة الحجاجيّة للنّبي ﷺ التي أهّلته للتّأثير في مخاطَبيه وتغيير معتقدهم وفكرهم وسلوكهم على حدّ سواء، ولإبراز نجاعة حجاجه وفعّاليّة خطابه، ومكمن السّر في ذلك حتى نستثمره في حياتنا في هذا العصر.

وبناء عليه، فقد توصّلنا إلى النتائج الآتية:

- ✓ إنّ مفهوم الحجاج يخرج عن معنى التّخاصم الضيّق إلى رحابة التواصل بجميع أشكاله لأنّنا نتكلم بقصد الاستمالة والتّأثير، فالمتكلم يسعى إلى إقناع الآخر برأيه أو بفكرته أو بقضية ما، وهذا هو عين التواصل الذي يفترض وجود شخص ما له نيّة التأثير في الآخر.
- ✓ الحجاج في الفكر الإسلامي القديم لا يختلف كثيرا عن مفهومه عند علماء اليونان، وخاصّة في الدّرس الدّيني؛ إذ ورد عند علماء التّفسير وعلوم القرآن وأصول الفقه مرادفا للجدل. وربّما نعزو ذلك إلى تأثّرهم بهم واعتمادهم على مؤلّفاتهم التي ترجمت في العصر الذّهبي.

- ✓ يمثّل الخطاب الدّيني بشقّيه؛ القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف أرضيّة خصبة لإنتاج نظريّة في الحجاج، فالله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز يبيّن لنا أسلوب الحوار وفنون الإقناع، وأنماط الحجج وخاصّة في قصص الأنبياء ومحاورتهم لخصومهم ومعارضيهم.
- ✓ مارس النّبي ﷺ الحجاج كفعّاليّة خطابيّة وحركيّة تواصليّة في حياته وخاصّة مع اليهود والنّصارى والمشركين الذين غلبهم بالحجج الدامغة والأدلّة المنطقيّة القويّة.
- ✓ إنّ الخطاب الدّيني قادر على تأسيس نظريّة حجاجيّة إسلاميّة نابعة من مصادره الأساسيّة؛ القرآن الكريم والحديث الشّريف، وذلك من خلال جمع كل الآيات التي تضمنت لفظة الحجاج والأحاديث والقصص التي استخدمت الحجاج من أجل الكشف عن أبعاد هذه النظرية في خطابنا الدّيني لأنه أسمى من الخطابة والمنطق والبلاغة على حدّ سواء.
- ✓ يسعى الحجاج من منظور لساني إلى الإقناع باللغة، لكونها تحمل وظيفة حجاجيّة بين طيّاتها تتجلى في بنية الأقوال ذاتها؛ صوتيا، وصرفيا، وتركيبيا، ودلاليا.

- ✓ إنّ الدّراسة المتمعّنة لقصص الحديث النّبوي واستكناه معانيها والمقاصد التي ترمي إليها، كشف لنا عن تصنيف جديد مغاير لما وجدناه عند الباحثين؛ تصنيف يرتكز على الغاية والهدف، فالنّبي ﷺ لم يكن مؤرّخا ولا قاصّا بل نبيّا ومُرَبّيا ومعلّما يسعى جاهدا إلى تغيير التركيبة العقليّة والرّوحيّة للمتلقين ومن ثمّة تغيير السّلوك اليومي في الواقع.
- ✓ جاءت قصص الحديث النّبوي لتعالج الحياة الإنسانيّة من كل جوانبها؛ التربويّة والتّعليميّة، السّياسيّة والاقتصاديّة، الاجتماعية والإنسانيّة، وتبني المسلم بناء متكاملا وتوجّهه توجيها قيميّا شموليّا في حياته وتؤسّس لواقع جديد؛ مجتمع إسلامي مثالي قادر على قيادة الإنسانيّة جمعاء في كل عصر ومصر.
- ✓ تتجاوز قصص الحديث النّبوي المكان والزّمان، ومن خلالها أراد النّبي ﷺ إقناع المتلقي الكوني، لأنّه وإن كان يخاطِب مخاطَبين معنيين – صحابته رضوان الله عليهم – إلا أنّه أراد من خلالهم مخاطبة كل المتلقين على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، ويؤثر فيهم ويغيّر سلوكهم بما يضمن لهم السّعادة في الدّنيا والآخرة، لأنّه هو

النّبي الخاتم المبعوث للعالمين كافّة ورسالته هي الخالدة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

- ✓ اتّسمت القصة النّبويّة بالطابع الحجاجي الذي تجلى في بنية الألفاظ والأقوال والعبارات التي استعملها النّبي ﷺ والتي لها قوّة حجاجيّة بارزة تسعى من خلالها إلى التّأثير في المتلقي، ودفعه إلى القيام بسلوك معيّن واجتناب آخر معارض، أو الاستجابة لطلب معيّن، فالكلمات كانت ولازالت الوسيلة الأقدر على التّأثير في العالم وتغيير السّلوك الإنساني، فسلطان اللغة ليس فوقه سلطان وقوّة الحجاج من قوّة الكلمات.
- ✓ كشفت السّلالم الحجاحيّة عن خطّة حجاجيّة ممنهجة بناها رسول الله ﷺ في قصصه تمسّ جميع الأطر والجوانب السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والتّعليميّة، وكل ذلك من أجل صناعة الشّخصيّة المسلمة النّموذجيّة التي تعي جوهر الرّسالة وتستطيع الثّبات عليها، وإنتاج أمّة الخيريّة المنشودة التي ترقى بالإنسانيّة عقائديّا وفكريّا واجتماعيّا وسلوكيّا.
- ✓ إنّ المسعى الحقيقي لقصص رسول الله ﷺ هو تبنّي المنظومة الأخلاقيّة التي بعث لإتمامها، وذلك بإنجاز ما تدعو إليه من

فضائل والإحجام عمّا تنهى عنه من رذائل، لأنّ السّياسة الرّاشدة بين الحاكم والمحكوم والمجتمع الذي ينظّمه ميزان العدل وشريان التّعاون، والاقتصاد المزدهر الذي تمتد أفياؤه إلى الفرد والمجتمع، لا ينمو كل ذلك ويترعرع إلا في نفوس هُذّبت روحيّا وتسامت أخلاقيّا.

وفي ختام البحث نأمل أن نكون قد وفّقنا في الإلمام بالموضوع من كل جوانبه، وساهمنا ولو بقليل في جمع قصص الحديث النّبوي وتصنيفها وتبيان موطن الحجاج فيها، كما نرجو أن يكون هذا البحث لبنة جديدة تضاف إلى صرح الدّراسات اللغويّة وتفتح آفاقا جديدة للبحث العلمي، من ذلك:

- ❖ فتح مخبر للدّراسات القرآنيّة والنّبويّة يعمل على تصنيف الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة وفق مجالات الحياة المتعدّدة؛ السّياسيّة والاقتصاديّة، الاجتماعيّة والتّربويّة والتّعليميّة. وذلك من أجل التّوصّل إلى نظريّات إسلاميّة حقيقيّة في السّياسة والتّعليم وعلم النّفس وعلم الاجتماع والاقتصاد ... تخدم الإنسانيّة جمعاء دون تمييز.

- ❖ مدّ جسور التّواصل بين علوم اللغة وباقي العلوم الأخرى الإنسانيّة والتّكنولوجيّة والتّقنيّة لتمكين الباحثين في جميع مجالات الحياة من هذه الذّخيرة الحيّة – القرآن الكريم والأحاديث والقصص النّبويّة – للاستفادة منها في مجال البحث العلمي.
- ❖ العمل على تحويل قصص الحديث النّبوي إلى مسلسلات وأفلام ليَكونَ تأثيرها أقوى وأشمل لما للعمل الفنّي من قوّة فاعلة في المجتمع، ولمحاربة الثقافات الأجنبيّة الهدّامة الوافدة إلينا، وذلك لما للقصّة النّبويّة من خصائص تؤهّلها لذلك.
- ❖ نشر القصص النّبويّة في كتب خاصّة بعيدة عن كتب الحديث النّبوي للسّماح لأكبر عدد من المتلقّين من الاطّلاع عليها وقراءتها للتّأثّر بها، وذلك لما جبلت عليه النّفس البشريّة من حبّ القصص والحكايات.
- ❖ العمل على تأهيل المتلقّين لممارسة الحجاج كفعّاليّة خطابيّة قادرة على التّغيير في مقابل وسائل الإرغام والإكراه، وذلك من خلال إجراء دورات تدريبيّة على كيفيّة استخدام أساليب الحجاج وفنون الإقناع وخاصّة المؤهّلين لاستلام مناصب تتعلّق مباشرة بالمجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص (مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي)

أولا: الكتب باللغة العربية والمترجمة

❖ **الأشقر: عمر سليمان عبد الله**

1- صحيح القصص النبوي، دار النفائس، الأردن، ط7، 2007.

❖ **الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي**

2- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.

❖ **أ . م . فورستر**

3 أركان القصّة، تر:عباد جاد، مراجعة: حسن محمود،دار الكرنك، مصر، دط، 1960.

❖ **أندري لالاند**

4- موسوعة لالاند الفلسفيّة، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، المجلد، G -A.

❖ **أوستين**

5- نظرية أفعال الكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا للشرق، المغرب، دط، 1990.

❖ **البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة**

6- صحيح البخاري، مرا: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط5، 2012.

❖ **بسمة بلحاج رحومة الشكيلي**

7- السؤال البلاغي، الإنشاء والتأويل، دار محمد علي، المعهد العالي للغات، تونس، ط1، 2007.

❖ **أبو بكر العزاوي**

8- الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، المغرب، ط1، 2007.

9- اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

❖ **جاك موشلر، آن ريبول**

10- القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عز الدين مجدوب، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس.

❖ **جميل صليبا**

11- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والأنجليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، دط، 1994.

❖ **جميل عبد المجيد**

12- البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2000.

❖ **ابن جني: أبو الفتح عثمان**

13- اللمع في العربية، تح: حامد المؤمن، مطبعة العاني، بغداد، دط، دت.

❖ **حسن الصديق**

14- المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، 2000.

❖ **حسن سالم هندي**

15- بنية الشخصية المؤمنة في القصة القرآنية والرواية الإنسانية، دار نينوى للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، دط، 2012.

❖ **حمو النقاري**

16- التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 134، المغرب، ط1، 2006.

❖ **ابن حنبل: أحمد بن حنبل الشيباني**

17- المسند ، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، دط، 1955.

❖ **خديجة بوخشة**

18- حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، الدار الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2015.

❖ **درويش جويدي**

19- الأحاديث القدسية، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، دط، 2011.

❖ **ابن الدّيبع: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني**

20- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، تح:محمد عثمان الخشبت، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، دت.

❖ **رولان بارت**

21- البلاغة الجديدة، تر: عبد الكبير الشرقاوي، نشر الفنك للغة العربية، دط، 1994.

❖ **الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله**

22- البرهان في علوم القرآن، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت،دط، 1972.

❖ **سامية الدريدي الحسني**

23- دراسات في الحجاج، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.

❖ **السبعاوي طه عبد الله محمد**

24- أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط.

❖ **السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر**

25- مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

❖ **سيف الدين طه الفقراء**

26- المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية، دراسة صرفية دلالية إحصائية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2005.

❖ **السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن**

27- الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، دط، دت.

❖ **الشهري: عبد الهادي بن ظافر**

28- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2000.

❖ **صبري المتولي**

29- علم الصرف العربي، أصول البناء وقوانين التحليل، دار غريب، القاهرة.

❖ **طه عبد الرحمن**

30- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.

❖ **ابن عاشور: محمد الطاهر**

31- التحرير والتنوير، الدار التونسية، الدار الجماهيرية للنشر، تونس، دط.

❖ **عباس حسن**

32- النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرّفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، ط4، دت.

❖ **عبد السلام عشير**

33- عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، إفريقيا للشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2006.

❖ **عبد القاهر الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن**

34- دلائل الإعجاز، تح: محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، ط1، 2005.

❖ **عبد الله صولة**

35- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2001.

36- في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ميسكيلياني للنشر، المغرب، ط1، 2011.

❖ **عز الدين الناجح**

37- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2011.

❖ **علي سعيد إسماعيل**

38- أصول التربية الإسلامية، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، دط، دت.

❖ **ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا**

39- مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1،1991.

❖ **فان دايك**

40- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2000.

❖ **فرانسواز أرمينكو**

41- المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، دط، 1986.

❖ **فريق البحث في البلاغة والحجاج**

42- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، دط، دت.

❖ **الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب**

43- القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1978.

❖ **فيليب بروتون، جيل جوتييه**

44- تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ط1، 2011.

❖ **القزويني: نجم الدين**

45- الشمسية في القواعد المنطقية، تح: مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.

❖ **ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي**

46- تفسير القرآن العظيم، كتب هوامشه وضبطه: حسين بن إبراهيم زهران، دار الفكر، بيروت، طبعة جديدة مخرجة الأحاديث ومصححة، 2006.

❖ **كمال عز الدين**

47- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، السعودية، دط.

❖ **كورنيليا فون راد صكوحي**

48- الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، دط، 2003.

❖ **مأمون فريز جرار**

49- خصائص القصة الإسلامية، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية،ط1، 1988.

❖ **المباركفوري صفي الرحمن**

50- الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، دار قصر البخاري، الجزائر.

❖ **مجمع اللغة العربية**

51- المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

❖ **مجموعة من المؤلفين**

52- الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظريّة وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، دار الروافد الثقافية، بيروت، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013.

❖ **محمد حسن الزير**

53- القصص في الحديث النبوي، دراسة فنية موضوعية، المديرية العامة للمطبوعات، الرياض، السعودية، ط3، 1985.

❖ **محمد سعيد رمضان البوطي**

54- التعرف على الذات هو الطريق المعبّد إلى الإسلام، دار الفكر، دمشق.

❖ **محمد طروس**

55- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

❖ **محمد عبد الرؤوف**

56- أدب الأطفال وبناء الشّخصيّة (منظور تربوي إسلامي)،دار العلم، دبي، ط2، 1997.

❖ **محمد قطب**

57- منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت، دط، 2000.

58- منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط8، 1993.

❖ **محمد الكتابي محمد**

59- جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992.

❖ **المراد الحسن بن قاسم**

60- الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.

❖ **مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري**

61- صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، ط1، 1993.

❖ **ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم**

62- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، 1997.

❖ **مهدي المخزومي**

63- في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 2003

❖ **النووي: أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي**

64- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، اعتنى به: محمد علي قطب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، طبعة جديدة، 2005.

❖ **هنريش بليث**

65- البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989.

❖ **أبو الوليد الباجي**

66- المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1987.

❖ **وليد رفيق العياصرة**

67- التربية الإسلامية واستراتيجياتها العملية، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2010.

❖ **وليد قصاب**

68- البلاغة العربية، علم المعاني، دار القلم للنشر والتوزيع، الإمارات، ط1، 1998.

❖ **ابن وهب: أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب**

69- البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، دط، 1969.

❖ **ابن يعيش: موفق الدين يعيش بن علي**

70- شرح المفصّل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت.

❖ **يوسف القرضاوي**

71- كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب، دط، دت.

ثانيا: الأطروحات والرسائل الجامعية

❖ **ابتسام بن خراف**

72- الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، دراسة تداولية، رسالة دكتوراه، إشراف: السّعيد بن إبراهيم، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009 / 2010.

❖ **فائزة سالم صالح يحي أحمد**

73- التشبيه التمثيلي في الصحيحين، رسالة ماجستير، إشراف: محمد محمد أبو موسى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1985/1986.

ثالثا: المجلات والدوريات

❖ **آمنة بلعلى**

74- الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار، نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي، جامعة مستغانم، الجزائر،ع89، محرم 1424، 23 مارس 2003.

❖ **أحمد حطيط**

75- الخطاب الصوفي والعولمة، مفهومان متنافران، مجلة الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر،ع2، 2008.

❖ **أبو بكر العزاوي**

76- الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري، مجلة دراسات سيميائية، أدبية، لسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

❖ **حافظ محمد بادشاه**

77- القصة النبوية، أهدافها وخصائصها الفنية، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع22، 2015.

❖ **حسن خميس الملخ**

78- الحجاج في الدرس النحوي، مجلة عالم الفكر،الكويت،ع2، م40، أكتوبر، ديسمبر 2011.

❖ **حميدي خميسي**

79- افتتاحية العدد، مجلة الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر،ع2 ،2008.

❖ **رضوان الرقبي**

80- الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر،ع2، م40، أكتوبر، ديسمبر 2011.

❖ **صابر الحباشة**

81- الحجاج في التداولية، مدخل إلى الخطاب البلاغي، مجلة ثقافات، تونس، 2011.

❖ **عبد القادر تومي**

82- التصوف والمجتمع، قراءة في الأبعاد الاجتماعية للتصوف، مجلة الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر،ع3، 2010.

❖ **محمد سعيدي**

83- بناء الإنسان في الفكر الصوفي الإسلامي، مجلة حوليات التراث،ع1، 2004.

❖ **مصطفى الزرقاء**

84- مقارنة بين أسلوب الحديث وأسلوب القرآن، مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مطابع مؤسسة الرسالة، بيروت، ع7، السنة الثانية، 1995.

❖ **معتوق جمال وأوسرير محمد**

85- الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي (التربية الصوفية نموذجا)، دفاتر مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة.

رابعا: الملتقيات والندوات العلمية

❖ **عبد الحكيم أحمد المهدي**

86- تعليم القيم فريضة غائبة في نظم التعليم، ورقة مقدمة لمؤتمر المناهج التربوية والتعليمية في ظل الفلسفة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1990.

خامسا : مواقع الإنترنت

❖ **أبو بكر العزاوي**

87- لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل، بيان اليوم، المغرب، 2006/12/2. http://www.bayanealyaoume.net

سادسا : المراجع باللغة الأجنبية

88- **Cambridge Advanced learners**, dictionary, Cambrge university press, 2nd pub , 2004 .

89- **Le grand robert** ,dictionnaire de la langue français , 1er rédaction , paris , 1989 .

❖ **Anscombre et Ducrot**

90- L'argumentation dans la langue , Mardaga, Bruxelles, 1983.

❖ **Oswald Ducrot**

91- Dire et ne pas dire, Hermann, Paris, 1980.

92- Les échelles argumentatives, Edition de Minuit, Paris, 1980.

الموضوع ..... الصفحة

مقدمة ..... أ – ح

مدخل: القصة النبوية

مفهوم القصة 14

مفهوم القصة النبوية 16

أشكال القصة النبوية 18

الفصل الأول: الحجاج اللغوي

الحجاج..... 34

الحجاج في اللغة 34

الحجاج في الاصطلاح 38

الحجاج وعلاقته بالإقناع 39

الحجاج في الفكر الإسلامي القديم 43

الحجاج في الخطاب الديني 43

الحجاج في الدرس الديني 50

الحجاج اللغوي في الدرس الغربي الحديث 53

مفهوم الحجاج اللغوي عند (ديكرو وأنسكومبر)..... 54

وظيفة الحجاج.....56

العلاقة الحجاجية.....56

الروابط والعوامل الحجاجية.....57

المبادئ الحجاجية.....58

الموضوع ..... الصفحة
الحجاج اللغوي في الدرس العربي الحديث 60
الحجاج اللغوي عند أبي بكر العزاوي..... 60
مؤلفات العزاوي في الحجاج اللغوي.....61

الفصل الثاني: بنية الحجاج في القصة النبوية

السلم الحجاجي 65
مفهوم السلم الحجاجي 65
قوانين السلم الحجاجي..... 70
السلالم الحجاجية في القصة النبوية 75
السلم الحجاجي في القصص ذات البعد التربوي 76
السلم الحجاجي في القصص ذات البعد الاجتماعي..... 86
السلم الحجاجي في القصص ذات البعد الاقتصادي 97
السلم الحجاجي في القصص ذات البعد السياسي 104
السلم الحجاجي في القصص ذات البعد التعليمي..... 116
الروابط الحجاجية 126
مفهوم الروابط الحجاجية 127
أنواع الروابط الحجاجية 129
الروابط الحجاجية في القصة النبوية 131
الروابط المدرجة للحجج في القصة النبوية 131
الروابط المدرجة للنتائج في القصة النبوية 135

الموضوع ..... الصفحة
الروابط المدرجة للتساوق في القصة النبوية 137
الروابط المدرجة للتعارض في القصة النبوية..... 141
العوامل الحجاجية 144
تعريف العوامل الحجاجية 145
وظيفة العوامل الحجاجية 145
العوامل الحجاجية في القصة النبوية 147
العامل الحجاجي (إنّما) 147
العامل الحجاجي (لم ...إلا / ما ....إلا)..... 149
المقتضى المعجمي ودوره الحجاجي 152
المقتضى المعجمي للأسماء 154
المقتضى المعجمي للصفات 158
المقتضى المعجمي للأفعال 163
المقتضى التركيبي ودوره الحجاجي 166
التركيب الاستفهامي ودوره الحجاجي 166
الاستفهام الحقيقي ودوره الحجاجي 168
الاستفهام البلاغي ودوره الحجاجي 170
خاتمة 174
قائمة المصادر والمراجع 180
الفهرس 192

الحجاج اللغوي
في قصص الحديث النبوي

تأليف:
الدكتورة أمينة تجاني

DL: 2020 / ISBN 978-9947-38-357-5

9 789947 383575

دار المجدد للنشر والتوزيع

02 نهج حفصي الطاهر "وراء الولاية" - سطيف / الجزائر
النقال: 0550.96.31.07 / 0550.96.31.19
هاتف/ فاكس: 036.82.58.09
البريد الالكتروني: dar.moudjadid@gmail.com
على الفيس بوك: دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع